قصص بوليسية للأولاد

لغز بحيرة قارون

eltaweel

محبوبة

محبوبة

رأينا كيف انتهت مغامرة الوادى الرهيب بسلام ، وذلك بفضل الشجاعة الفائقة للمغامرين الثلاثة : « عامر » و « عارف » و « عالية » ، ومعهم « سمارة » و « زاهية » تلك الببغاء الداهية !

وكان القط الأسود « مرجان » حزيناً مهموماً ، ينزوى فى ركن من أركان البيت ، احتجاجاً على تركه وحيداً ، فى حين اصطحبوا معهم هذا الطائر الدخيل ، منافسه وغريمه اللّدود !

وجاءت الإجازة ، وقررت والدتهم أن تصحبهم إلى الفيوم مسقط رأسها ، حيث تملك هناك فيلّا صغيرة على شاطىء بحيرة قارون ، حتى ينعموا بالهدوء ، بعيداً عن المجازفات والمغامرات !!..

ولما حلّ ميعاد السفر ، شرع المغامرون الثلاثة فى الإعداد

للإجازة الطويلة . وانهمكوا كالعادة فى تجهيز معدّاتهم . وكان أسعدهم هو « عامر » ، إذ كان قد تلقّى من خاله العقيد « ممدوح » قائد السواحل بمحافظة البحر الأحمر ، مكافأة ثمينة على ما قدّمه لسلاح السواحل من خدمات جليلة فى المغامرة الأخيرة . وكانت هذه المكافأة هى آلة فوتوغرافية دقيقة ، ومعها معدّات « الغرفة السوداء » لتحميض الأفلام .

وكان يتطلّع إلى التقاط مناظر فريدة لأسراب البطّ و « الشرشير » و « القمرى » الذى يفد على البحيرة الجميلة من القارة الأوربية ، هرباً من البرد والصقيع ، ليحط على مياهها الدافئة .

كما تزوّد المغامرون بعِدَد الصيد والخيوط والسنانير ، لصيد أسماك البلطى ، والبورى ، وسمكة موسى المفلطحة ذات العين الواحدة . وهذه هى الأسماك التى تشتهر بها هذه البحيرة ، ذات المياه التى هى بين بين ، فلا هى عذبة ، ولا هى مالحة !

كان والدهم يقود بهم السيارة فى طريق الفيوم الصحراوى ، وهو يوصيهم خيراً بوالدتهم . وبأن يبتعدوا عن أى عمل قد يُشتم منه روح المغامرة . ويكفيهم ما حدث لهم فى متاهات الوادى الرهيب ! فقد كان عليه أن يعود إلى القاهرة لمباشرة

أعماله ، ويتركهم وحدهم مع والدتهم .

وما إن وصلوا واستراحوا من عناء السفر ، حتى بدأ « عامر » فى إعداد « الغرفة السوداء » فى ركن حجرته ، استعداداً لتحميض وطبع أفلامه . فى حين كان الآخرون يعملون فى تجهيز ما يلزمهم للرحلة الخلوية التى سيقومون بها غداً .

كانت فيلاً « دار الهنا » — هكذا يطلقون عليها — تقع مباشرة على الشاطئ الهادئ . ويمر أمامها الطريق المرصوف الذى يسير متعرجاً فى محاذاة البحيرة . وكانت النوافذ الأمامية تكشف مياه البحيرة الواسعة ، وما وراءها من الصحراء الغربية بكثبانها وتلالها الرملية . أما النوافذ الخلفيّة فتطلّ على الحقول والمزارع .

فمديرية الفيوم هى أشبه بالواحة الخضراء ، تحوطها الرمال من جميع الجهات . وتقع البحيرة فى طرفها الغربى ، لتفصلها عن رمال الصحراء الواسعة ، التى تمتد حتى تصل إلى المحيط الأطلسى على الجانب الآخر من القارة الإفريقية .

خرج المغامرون الثلاثة فى الصباح الباكر ، يتبعهم القط « مرجان » كظلّهم ، و « زاهية » تربض فوق كتف « سمارة » . وساروا فى الطريق المرصوف المحاذى للبحيرة ،

وكان خالياً من المارّة . ثم عرجوا إلى الحقول ، يسيرون وسط السواقى والأشجار والنخيل والمزروعات ، ويتخطّون القنوات . وكانت حافة الصحراء تبدو أمامهم بعيدة برمالها الصفراء .

عالية : إن المكان هنا جميل بخضرته ، ولكن التناقض شديد بين هنا وهناك ! يخيّل لى أن لا حياة هناك !

عامر : بالعكس .. إن الصحراء تموج بالحياة ! ولكنها حياة صعبة بالنسبة للإنسان والحيوان والطير والحشرات !

واصلوا السير ، إلى أن همس « سمارة » فجأة فى أذن « عامر » : إنى أسمع حفيفاً هافتاً يصدر من هذه الزراعة العالية المجاورة .

عامر : أتقصد أنّ أحداً يتبعنا ! ..

سمارة : أعتقد ذلك ! .

عامر : سأسبقكم وسأختبئ وراء شجرة ، وعليكم أن تتابعوا السير ، وسأرى من يتبعنا .. لعله كلب أو ابن آوى أو أرنب .

تخلّف « عامر » وراء شجرة جمّيز ضخمة ، وكان يطلّ بطرف عينه ، وإذا به يباغت بشخص لم يتبيّنه أول الأمر ، وقد مرق أمامه وهو يتحسّس طريقه وراء المغامرين !

ولما ذهبت عنه المفاجأة ، وجد هذا الشخص بنتاً فى سنّ « عالية » . فعدا وراءها وقبض على ذراعها . فصرخت وأخذت تركله بقدمها ، وتهبش وجهه كالقطة المتوحشة ، فى محاولة للتخلص من قبضته !

نادى على إخوته فجاءوا يعدون . وإذا بهم أمام أعرابية سمراء ، مليحة الوجه ، ذات شعر فاحم مجدول . وكانت تسير حافية القدمين ، بينما تحمل خفّيها فى يدها . وترتدى جلباباً ملوّناً زاهياً يصل حتى كعبيها ، تختلط ألوانه مع الطين ، فلا يتميّز فيه الأصفر من الأخضر !

عامر : من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟

فأجابته : اسمى « محبوبة » . وأعيش مع عائلتى هنا فى خصّ نحرس هذه الزراعة . دعنى وشأنى !

عالية : ولماذا تتبعيننا يا « محبوبة » ؟

محبوبة : كنت أتبعك أنتِ لأنى معجبة بفستانك وحذائك ! وأنا أعرف من أنتم ، وأين تقطنون ! وكنت أخاف أن تضلّوا الطريق وسط المزارع .

كان « سمارة » يحدق فيها طول الوقت ، ولا عجب فى ذلك فهو أعرابىّ مثلها . وكانت « محبوبة » تبادله النظرات .

محبوبة : وكنت أيضاً أتبع هذه الحدأة الخضراء !

فضحكوا جميعاً ، وأفهمها « سمارة » حقيقة الببغاء ، وأنها تتكلم مثل الإنسان . فلم تصدّق أن حيواناً أو طيراً يتكلم بلسان الإنسان . ولكنها صرخت من الفزع عندما سمعت « زاهية » وهى تنادى عليها : « محبوبة » ! « محبوبة » ! « محبوبة » !

كانت « محبوبة » تتجوّل معهم وهى تسير بجانب « عالية » ، تمسك بطرف فستانها وهى تتحسّس قماشه ، أو ترمق حذاءها ، مبدية إعجابها الشديد بهما .

عالية : المشوار أمامنا طويل ، فهيّا بنا نعود إلى المنزل .

محبوبة : أعرف طريقاً مختصراً يوفّر لكم نصف الوقت !

عالية : تعالى معنا يا « محبوبة » إلى المنزل . ستأخذين حمّاماً فى « البانيو » ، وسأعطيك فستاناً جميلاً وحذاء من عندى ، وبعد ذلك ستنظرين فى المرآة فلا تعرفين نفسك !

محبوبة : وما هو « البانيو » ؟؟...

سمارة : هو بِرْكة صغيرة ستسبحين فيها !

محبوبة : ولكنى لا أعرف السباحة !!..

ولما وصلوا إلى الفيلا ، قابلتهم والدتهم ، وكان القلق

ولما ذهبت عنه المفاجأة ، وجد هذا الشخص بنتا .. فعدا وراءها

يساورها على غيبتهم الطويلة ، فهى أدرى بأولادها وشقاوتهم ومجازفاتهم .

الوالدة : ومن هذه ؟ إنها فى حاجة إلى حمّام ! !

عالية : وهذا ما أتينا بها من أجله ! عليك بها يا ماما . .

جلس الجميع فى بهو المنزل فى انتظار خروج « محبوبة » من الحمّام ، وهم يضحكون كلما سمعوا صراخها .

عالية : انتظروا قليلاً . . فإنكم ستشاهدون الآن « سندريلاّ » جديدة ! !

هلّت عليهم « محبوبة » من باب الحجرة ، وكانت تتعثّر فى حذائها الجديد ، وفستانها القشيب ، وقد اختفت ضفائرها المجدولة ، وتهدّل شعرها الفاحم الجميل وراء ظهرها .

عالية : ها هى تى « سندريلاّ » . . . لقد حان موعد عودتك يا « محبوبة » لئلا تقلق والدتك عليك ، إنها لن تتعرّف الآن عليك !

سمارة : سنراك باكر . . أليس كذلك ؟

محبوبة : نعم . . وفى نفس المكان . . ولا تنس أن تحضر « زاهية » !

كان الجميع يودعونها على باب الحديقة ، ويتابعونها

وهى تعدو بعد أن خلعت حذاءها ، ووضعت كل فردة منهما فى جيب من جيوبها ! . .

فابتسم « سمارة » وهو يقول : يا لها من قطة متوحشة !

* * *

القصر الغامض

سمارة

استيقظ « عامر » مبكراً، ثم فتح نافذته وجال بمنظاره المكبّر عبر البحيرة الواسعة ، فكان لا يرى غير الرمال والكثبان .

أدار منظاره جنوباً على امتداد الشارع المرصوف ، فشاهد فى الأفق ما جذب نظره ! رأى منزلاً ذا طابقين ، هو أقرب إلى القصر منه إلى المنزل الصغير . فأخذه العجب . . فالمنزل يقع فى الصحراء منعزلاً ، يلتف حوله سور مرتفع ، وله فناء متسع ، تظهر منه رؤوس نخيل وأشجار .

وكان المنزل يبدو مهملاً مهجوراً . فأبوابه ونوافذه مغلقة ، وبعض زجاجها مكسور !

كما شاهد أسراباً من « الحدادى » تحوم فوق النخيل والأشجار والصخور ! ماذا يجذب هذه الأسراب إلى هذا

المكان المنعزل ؟؟.. وهل تبنى أعشاشها فوق رؤوس النخيل والأشجار والصخور ؟؟

إذا صحّ ذلك فيالها من فرصة سانحة ليلتقط لها صوراً نادرة !.. الحدأة وهى تطعم صغارها ، أو وهى تعلّم صغارها الطير . . أو وهى تتعارك على الطعام . . أو غير ذلك من المناظر الفريدة !

* * *

سار المغامرون وهم يحملون طعامهم فى الطريق الذى سلكوه بالأمس . وفجأة انشقت الأرض عن « محبوبة » . كانت تقف أمامهم وهى ترتدى فستانها الجديد ، وقد اتّسخ وتمزّقت أطرافه ! أما شعرها الفاحم فكان منفوشاً منكوشاً !

حدّقت فيها « عالية » بدهشة وهى تفكّر : لا فائدة من « محبوبة » ، ولا أمل يُرجى منها ! إنها قطة غير أليفة لا يمكن استئناسها !

محبوبة : والآن . . إلى أين ؟

عامر : إلى المنزل الكبير المهجور ذى الأسوار العالية ! !

فبدا الاضطراب الشديد واضحاً على وجه « محبوبة » وقالت : أى منزل ! !...

عالية : ومن دلّك على الطريق ؟

محبوبة : ذهبت وحدى إلى هذا البيت ذات مرّة . . وسمعت أصواتاً غريبة تصدر من الداخل .

عالية : ربما كانت أصوات الأرانب !.. أو أى شيء آخر ؟

محبوبة : لا . . أنا أعرف صوت الأرانب جيداً . وهى تخرج من هذا المنزل فى الليل إلى المزارع ، وتصل حتى الخصّ الذى نسكن فيه !

عامر : وكيف تتخطى الأرانب هذه الأسوار العالية ؟

محبوبة : لا بد أنها حفرت نفقاً تحت السور تتسلّل عن طريقه !

وبعد مسيرة شاقة استغرقت منهم نصف ساعة ، اخترقوا فيها المزارع بقيادة « محبوبة » ، وجدوا أنفسهم على حافة الصحراء . ثم وقفوا متردّدين على رأس طريق ضيّق غير ممهّد يؤدى إلى القصر .

بدا القصر لهم عن قرب أكبر مما كانوا يتوقعون . كما كان الغموض والرهبة يكتنفانه أكثر مما كانوا يتصورون ! إنه قصر مخيف كأن الأرواح الشريرة تسكنه !!..

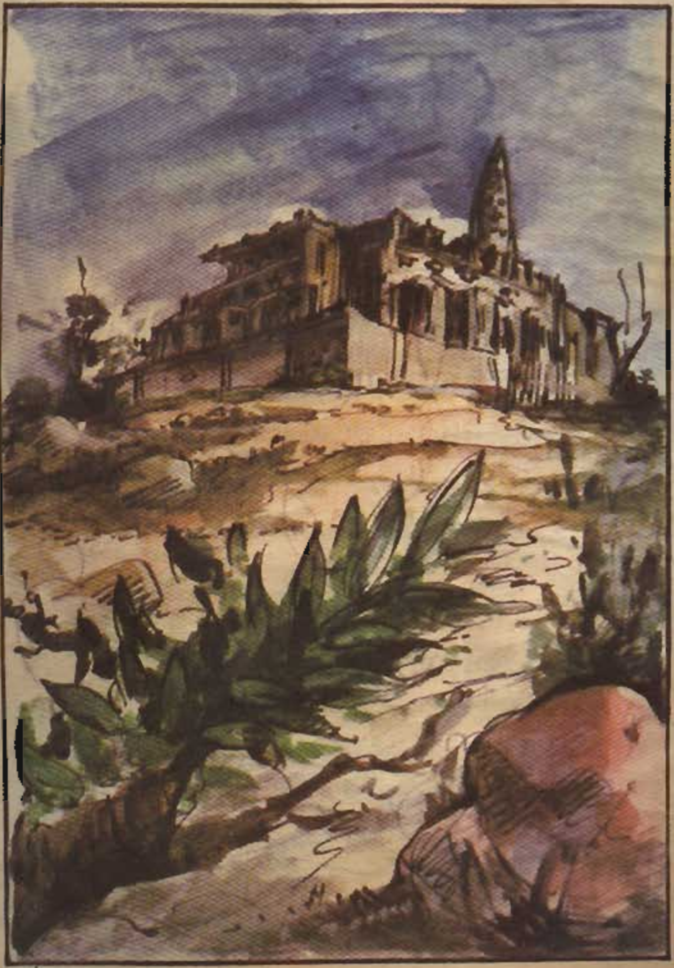

كان قصراً ضخماً غامضاً رهيباً ، كأن الأرواح الشريرة تسكنه .

محبوبة : أنصحكم بالعودة !...

ولكنهم تغاضوا عن نصيحتها ، وتقدّموا فى الطريق صعوداً . وكانت « محبوبة » تتذيل الصف الآن بعد أن كانت فى المقدمة ! إلى أن وصـــلوا تحت الأسوار العالية التى كانت ترتفع حوالى ستة أمتار .

وجد المغامرون أن البوابة المغلقة أشبه ببوابات الحصون ، فكان الدخول منها من ضروب المستحيل . فداروا حول الأسوار لعلّهم يجدون منفذاً ، ولكنهم لم يعثروا على شىء من ذلك !

كانوا يتطلّعون إلى النوافذ المغلقة فى الطابق العلوى ، وهى تغريهم على النفاذ منها ، واكتشاف ما قد يكون وراءها من أسرار ! ولكن ما العمل وهم يقفون الآن عاجزين أمام هذا الحصن المنيع ؟ وكانوا يرون فى أعلى القصر شيئاً يشبه البرج أو الشرفة فى أحد أركانه ، وفى ركن مقابل برج حمام صغير !

وحتى برج الحمام بدا لهم وكأن الحمام هجره . أو ربما خرج فى إحدى طلعاته . . وسوف يعود إلى برجه فى القريب العاجل . .

لم ييأس « عامر » ، فاليأس ليس من شيمته . وسألهم أن ينتظروه حتى يدور خلف القصر . ولما عاد بعد خمس دقائق كان منفرج الأسارير ! وأخبرهم أن هناك أملاً كبيراً فى دخول القصر . إذ أنه رأى صخرة كبيرة ترتفع فى موازاة السّور العالى ، ولكنها تبعد عنه حوالى أربعة أمتار . فإذا هم عثروا على لوح من الخشب ، أمكنهم استخدامه كقنطرة بين الصخرة والسور !!.. ومن أعلى السور يدلى حبله ويهبطون إلى الفناء الواسع !!..

هذه فكرة شيطانية !.. ولكن أين هو هذا اللوح .. وفى مثل هذا المكان ؟

قرّر المغامرون الانصراف بعد أن يئسوا من العثور على ضالتهم . وبينما هم فى طريق العودة ، إذا « بمحبوبة » تقول لهم فجأة : يوجد بالقرب من عشّتنا بجوار الترعة جذع نخلة مشطور إلى نصفين ، كان يستعمل فى ساقية ، وهى الآن مهجورة .

عامر : صحيح يا « محبوبة » ؟!.. أيمكننا معاينته ؟

محبوبة : طبعاً . سآخذكم إليه ..

كان المغامرون يسيرون وهم يتسامرون قتلاً للوقت ، وكانت

« عالية » – كعادتها ، دائمة الثرثرة .. تنهال على أخيها « عامر » بأسئلتها المتلاحقة !...

عالية : لقد شاهدت « الحدادى » وهى تطير فوق الفناء على علوّ شاهق . ولكن من الغريب أنها كانت ترتفع إلى أعالى الجو وهى مفرودة الجناحين لا تحرّكهما !.. وكنت أفهم أنه يمكنها ذلك فقط فى أثناء هبوطها إلى الأرض ، لأنها تنزلق كالطائرة الشراعية !!..

عامر : إنها تستخدم التيّارات الهوائية الموجودة فى الجو ، فتحملها معها ، تماماً كما تستخدمها الطائرة الشراعية فى الارتفاع !

ولما وصل المغامرون إلى جوار الترعة ، حيث يوجد جذع النخلة المشطور ، صاح « عامر » : تماماً ! هذا هو ما نبحث عنه .. هذا هو الكوبرى المعلّق الذى سنعبره إلى القصر !

عارف : ولكن يبدو أنه ثقيل ، والمسافة إلى القصر طويلة .

سمارة : سنحمله على أكتافنا نحن الخمسة ..

ترك المغامرون « محبوبة » لتعود إلى خصّها ، على أن يتقابلوا باكر فى نفس المكان . وساروا إلى فيلاّ « دار الهنا »

فى طريق مختصر . وما إن رأتهم والدتهم حتى بادرتهم بقولها : لقد تأخرتم ، وكنت أخاف أن تكونوا انغمستم فى مغامرة جديدة ، فلا أحد يضمن ماذا ستفعلون اليوم أو غداً !..

عامر : لا تخافى .. المكان هنا يختلف ، فهو هادئ لا مجال فيه لمجازفة أو مغامرة ! وكل ما فعلناه اليوم أننا اكتشفنا قصراً كبيراً مهجوراً ! ولكننا لم نتمكن من دخوله !.

سكتت والدتهم ولم تجب . فهى تعلم بوجود القصر من زمن طويل . وسمعت ما يدور حوله من روايات وإشاعات كثيرة . وهى وإن كانت لا تؤمن بشىء منها ، إلاّ أنه يحسن مع ذلك الابتعاد عنه !

الوالدة : ولماذا تجشّمون أنفسكم كل هذه المشقة ؟.. أضاقت منطقة قارون الواسعة بما فيها ، حتى تذهبوا إلى هذا المكان النائى المنعزل ؟!

عامر : الرحلة وسط المزارع ممتعة .. والصحراء هناك شاعريّة .. والقصر وما يحيط به هادئ . وسألتقط بعض الصور الطريفة النادرة فى الفناء الواسع . فما المخاطرة فى ذلك ؟!..

الوالدة : لا بأس من دخول الفناء . ولكن لا تدخلوا

القصر .. إيّاكم وأن تقتربوا منه .. فهو مهجور منذ زمن طويل .. ولا أحد يعلم ما بداخله .. أو اسم صاحبه !..

* * *

دخول القصر الغامض

عامر

استيقظ « عـامر » فى السادسة صباحاً ليعدّ آلة التصوير والحامل ومعـدّات الرحلة . وكان أهمّها الحبل الطويل الذى لفّـه حـول وسطه . وعندما فتح نافذته ، فوجئ « بمحبوبة » وهى تقف وسط الحـديقة . . فنـاداها لتدخل .

كانت كعادتها ، منكوشة الشعر ، وفستانها ووجهها ملطخان بالطين ، فهى قد استيقظت فى الفجر ، وتوجّهت فوراً إلى حيث هم ، فلا حمّام ، ولا اغتسال ، ولا إفطار ! ووقفت فى انتظارهم بالحديقة . إنها لم تطق صبراً على فراقهم !

كانت تجلس معهم على مائدة الإفطار ، وتتعجب لهذه الأدوات الغريبة التى يستعملونها فى الأكل ! ولكنها عجزت عن استعمالها مثلهم . فشرعت فى التهام الطعام بأصابعها !

وفى الساعة السابعة بدأت القافلة سيرها . . تقودها « محبوبة » . ولما وصلوا عند جذع النخلة المشطور تكاتف الخمسة على حمله على أكتافهم . فى حين طارت « زاهية » لتقف على الجذع ، و« مرجان » يسير فى أعقاب « عارف » لا يفارقه .

وكانوا ينوءون تحت الحمل الثقيل ، ويتوقفون كلما هدّهم التعب . إلى أن وصلوا حيث الصخرة العالية التى تجاور السور الخلفىّ للقصر .

لم يكن من السهل إقامة هذا الكوبرى المعلّق بين الصخرة والسور . فقد كان جذع النخلة ثقيلاً ، يبلغ طوله حوالى أربعة أمتار ونصف . ولكن أيقف ذلك حجر عثرة فى سبيلهم ، وقد أصبحوا قاب قوسين من الدخول إلى الفناء ؟ كلاً بطبيعة الحال . . .

أسندوا الجذع على جانب الصخرة ، وتسلّقها « عامر » فى خفة الغزال ، يتبعه « سمارة ». ثم أخرج « عامر » حبله وربط به طرف الجذع ، وأخذ فى سحبه إلى أعلى، يساعده فى ذلك « سمارة » . . فى حين كان الباقون يدفعون الجذع من أسفل ، حتى صار فوق الصخرة ! أما « زاهية » فقد طارت داخل الفناء . . فى حين اختفى « مرجان » عن الأنظار ! ! . .

كان « عامر » و « سمارة » يمسكان الجذع الآن وهو يرتكز كالعمود على سطح الصخرة ، ثم دفعاه ليهوى فوق السور . وعندئذ هلّل الجميع فرحاً بنجاحهم فى إقامة الكوبرى المعلّق ! وكانت « عالية » تبدى إعجابها بخفة أخيها « عامر » وهى تقول له : إنك تصلح بهلواناً فى سيرك ! فنظرت إليها « محبوبة » وهى تتعجب من قولها هذا ، فالمسكينة لم تسمع من قبل أو ترى بهلواناً فى سيرك !

تقدّم « عامر » وسار على اللوح بحذر ، وكأنه يفتتح الكوبرى ، إلى أن وصل فوق السور العريض . ثم أخذ يتطلّع فى أرجاء الفناء وصاح فيهم : إنّه فناء عجيب وواسع جداً ! ثم ربط الحبل فى طرف الجذع ، وتركه يتدلّى إلى أرض الفناء . .

عبروا الكوبرى واحداً وراء الآخر ، وكانت « عالية » فى المقدمة ، و « محبوبة » فى المؤخرة . ثم تدلّوا فى خفة ورشاقة إلى أرض الفناء . وكانت تساعدهم على ذلك الحجارة الناتئة من حائط السور الداخلى ، بعكس السور الخارجى الذى كان أملس ! .

تركوا الحبل فى موضعه كما هو ، فهو الآن سبيلهم الوحيد إلى الخروج من الفناء !

وقفوا يجولون بنظرهم فى الفناء الفسيح ، فلا هو بالحديقة ، ولا هو بالفناء . . . إنه أشبه بالخرابة ! كانت أرضه غير ممهّدة ، تنمو فيها الحشائش والنجيل ، وتنبت فيها الأشواك العالية ، والأشجار الضخمة والنخيل . كما كانت الأكمات الرملية والصخرية تتناثر فى أرجائه . فكانوا كأنهم يقفون على سطح القمر فى بحر العواصف ، بتضاريسه وفجواته !..

وقد لاحظ الجميع وجود الجحور الواسعة فى أرضه . . إنها جحور الأرانب بلا شك ! إن رؤيتها أسعدت « عامر » ، وغمرت قلبه بالفرح . إنه سوف يلتقط لها صوراً ملوّنة فريدة رائعة ، لم يسبقه إليها أحد من قبل ! سيكون منظر الحدأة وهى تنقض على الأرنب لتحمله بين مخالبها منظراً وحشياً . . ولكن لا ذنب له فى ذلك ولا حيلة ، فهى سنّة الطبيعة القاسية !!.. ولكن المنظر يستحق التسجيل من وجهة النظر العلمية فى دراسة طبائع الطير والحيوان !

تجوّل « عامر » بين الأشجار والأكمات بحثاً عن أعشاش « الحدادى » . فلمح عشّاً كبيراً يتربّع فوق شجرة فى مكان مكشوف ، كان يبدو ظاهراً للعيان ، يغمره ضوء الشمس . وتقع أمام الشجرة وعلى مسافة قريبة منها ، أكمة عالية تنبت فوقها

شجيرات الشوك العالية الكثيفة . يا له من اكتشاف هام !!..

إنه سوف يكمن داخل الأشواك ، وينصب آلته على الحامل ، ويصوّب عدستها نحو العشّ ، انتظاراً للفرصة الذهبية حتى تحين !

تسلّق الأكمة وألقى نظرة على العش ، فإذا به يرى حدأة صغيرة حديثة الولادة وهى ترقد فى العش !! فكاد يطير من الفرح . إنها فى انتظار أمها . . سوف تعود إليها لتطعمها وتحنو عليها . . وسوف تعلّمها كيف تطير . . وسوف تدافع عنها ضد كل عدوّ أو دخيل . يا لها من أحداث جديرة بالتسجيل !

نصب آلته فوق الحامل فى اتجاه العشّ ، ونظر من خلال العدسة فوجد الحدأة الصغيرة وقد بدت أمامه واضحة بكلّ تفاصيلها الدقيقة . فهبط من الأكمة بعد أن اطمأن . . وشارك الجميع وكانوا يفترشون الأرض تحت الشجرة .

وبينما هم يتشاورون فيما سيفعلونه ، إذا بحدأة ضخمة تحوم حول الشجرة ، مفرودة الجناحين وهى تصيح صيحات الغضب ، والخوف على صغيرها من هؤلاء الدخلاء . فجفلت « عالية » وسألت بخوف : هل ستهاجمنا ؟ فطمأنها « عامر » قائلاً : لا . . ما دمنا بعيدين عن صغيرها !

كان « عامر » يراقب الحدأة وهى تحطّ فى العشّ ، وتحتضن صغيرها بجناحيها وكأنها تحميه ، وتلقمه بعض الطعام فى منقاره المقوّس المفغور .

لقد فاته تسجيل هذا المنظر النادر بعدسته . ولكن لا بأس فالوقت متسع أمامه .

وفجأة ظهر « مرجان » أمامهم وهو متّرب معفّر ، وكأنه خرجَ من باطن الأرض !.. فمن أين دخل هذا القط الخبيث ؟ أهناك مدخل سرّى لم يكتشفوه بعد؟ ولكن أين ؟ إنهم بحثوا جيداً !!..

كما ظهرت « زاهية » وهى تطير حول الشجر ، وكانت تقلّد صياح الحدأة تقليداً متقناً ، حتى ظنّوها حدأة مثلهم . فردّت عليها الحدأة من العش بصياح مماثل وقد ظنتها حدأة خضراء !..

عالية : وبعد . . ماذا سنصنع ؟

عامر : لم يبق أمامنا إلاّ دخول القصر !..

عالية : ولكننا وعدنا أمنا ألاّ نغامر بدخول القصر .

عامر : ولكن القصر هادئ كما ترين . ولم نشاهد حتى الآن شيئاً غريباً !..

كان المنزل مشيّداً على الطراز السائد فى منطقة قارون ، تلتفّ حوله الشرفات الخشبية الواسعة فى الطابقين الأرضىّ والعلوىّ . وله نوافذ عريضة تسمح بدخول الهواء إلى الحجرات . وكانت بعض النوافذ الخشبيّة إما مكسورة أو منزوعة . ربما نزعها اللصوص ، فالقصر بلا حراسة !

صعد « عامر » الدرجات الخشبية الأربع التى تؤدى إلى المدخل . كان على يقين أنه مغلق بالمفتاح ، ولكنه وجده مفتوحاً ! فلم يندهش لذلك إذ ما فائدة إغلاقه والدخول من النوافذ ميسور ! لا جدال فى أن القصر مهجور !

دخل « عامر » وتبعه الباقون إلى ردهة مظلمة عارية من الأثاث . فهمست « عالية » بصوت مرتعش : إنه قصر المغامرات !!..

عارف : ما الذى جعلك تقولين ذلك ؟

عالية : لا أدرى ! إن القصر يوحى لى بذلك ! يا لها من غرفة مظلمة !

عارف : إنها غرفة عارية ، وأعتقد أن باقى المنزل على هذا الحال !

دخلوا حجرة مجاورة كانت أقلّ ظلاماً ، يتخلّلها ضوء خافت . وسارت « عالية » حتى وصلت بجوار النافذة . ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى صدرت عنها صرخة مدويّة انخلعت لها قلوبهم !

عامر : ماذا دهاك يا « عالية » ؟!!..

جرت « عالية » تحتمى فيه وهى تصيح : هناك شىء غريب جداً فى هذه الحجرة ! لقد شعرت به ! هيّا بنا نخرج بسرعة !

عارف : لا تكونى عبيطة يا « عالية » !....

ولكنه ما كاد يبدأ حديثه حتى توقف عن الكلام ! فقد شعر بشىء يلمس شعره ! فالتفت فجأة ولكنه لم ير شيئاً !!..

هناك شىء فى هذه الحجرة ، ما فى ذلك من شك ! ولكنه غير مرئىّ !!..

وفجأة صدرت عن « سمارة » ضحكة عالية ، فقد رأى على الضوء الخافت خيوطاً كثيرة من نسيج العنكبوت تتدلّى من السقف !!..

لا بدّ أن العناكب قضت السنين الطويلة فى العمل الدائب لنسج هذه الكمية الضخمة من الخيوط !

خرجوا من الحجرة إلى ردهة يسطع فيها النور . فرأوا سلّماً خشبيًّا يؤدى إلى الدور العلوى . . وإلى سطح المنزل .

عامر : هيّا بنا إلى السطح لنشاهد منظر المزارع والبحيرة والصحراء .

ولما صعدوا إلى السطح ، رأوا فى ناحية منه برجاً صغيراً للحمام . وفى ناحية أخرى شرفة خشبية عالية ، ترتفع على أربعة أعمدة ، ولها سلّم خشبىّ . . فارتقوه .

انعقدت ألسنتهم عن الكلام أمام المنظر الساحر الذى انبسط أمامهم . كانت المزارع تمتد كالبساط الأخضر إلى مدى البصر . ومياه البحيرة الواسعة تتلألأ تحت ضوء الشمس . وقوارب الصيادين تظهر على سطحها كالنقط البيضاء الصغيرة . أما الصحراء برمالها وتلالها الصفراء ، فكان يخيّل إليهم أنه لا بداية لها ولا نهاية !

عامر : ها هى الدنيا كلها تحت أبصارنا !!..

عالية : ها هو منزلنا ، إنه بعيد جدًّا ولكنى أراه جيداً . وهاهى نافذة « عامر » . . ألا ترونها معى ؟

سمارة : هذا المكان يصلح برجاً للمراقبة ، يكشف عن كل من يقترب من القصر . وبرج الحمام هذا !!.. إنه

جرت عالية تحتمى فيه وهى تقول : هناك شىء غريب فى هذه الحجرة . .

صغير لا يسع أكثر من خمس حمامات أو ست ! إنه برج عجيب لم أر له مثيلاً ! !..

يا له من قصر عجيب ، يدلّ على أن أحداثاً كانت تقع فيه . . أو ربما هى ما زالت تحدث ! من يعلم ؟

وعندما خرجوا إلى الفناء ، استقبلتهم « محبوبة » بالفرح والارتياح . وقالت لهم وكأنما تبرّر إحجامها عن الدخول معهم إلى القصر : كنت أراقب الفناء جيّداً . . ولكنى لم أر شيئاً ! هل سمعتم أصواتاً مريبة . . أو رأيتم أشباحاً غريبة ؟؟

عالية : أبداً يا « محبوبة » . . . لا شىء . . فالقصر خاوٍ خالٍ ! !

جلسوا تحت شجرة يرسمون برنامج الغد . فشرح لهم « عامر » أنهم سيحضرون فى الصباح الباكر ، ليتمكن من التقاط بعض الصور « للحدادى » وأنه يأمل أيضاً فى أن يفاجئ الأرانب وهى فى طريق العودة إلى جحورها من المزارع . ثم يدخلون القصر بعد ذلك ليشاهدوه على ضوء البطاريات !

وأخيراً حان ميعاد العودة . ولكن أين « مرجان » ؟ هذا الشيطان ! إنه اختفى عن العيان ! أيكون قد اقتفى أثر أرنب

ودخل الجحر وراءه ؟ أم أنه خرج من مكان سرّى لا يعرفه سواه ؟

تسلّق المغامرون الحبل بسهولة ، فقد كانت الحجارة البارزة فى الحائط تساعدهم على التسلّق ، وعبروا الكوبرى إلى الصخرة – حيث وجدوا « زاهية » فى انتظارهم – ومنها هبطوا إلى الأرض .

وهناك فوجئوا « بمرجان » فى انتظارهم ! من أين خرج هذا العفريت ؟؟..

لا بد لهم من مراقبته . . فقد يدلّهم على طريقة أسهل للدخول والخروج ! !..

* * *

اللقاء مع العقيد « ممدوح »

العقيد « ممدوح »

وفى الصباح البـاكر ، وهم فى طريقهم إلى القصر الغـامض ، كان « عـامر » يتحدث إليهم قائلاً : لا جدوى من وراء التقاطى لهذه الصّور عشوائيًّا ، يجب أن أمكث هنـا عدة أيام متواصلة ، أراقب فيهـا « الحـدادى » والأرانب ، إلى أن تحين الفرصة السانحة للتصوير ، خاصة فى الفجر وقبل الغروب ، وهى عملية تحتاج إلى صبر أيوب !

عارف : ولمَ لا ! يمكنك ذلك طبعاً ، بعد أن اتضح لنا أن المكان مأمون . ويمكننا أن نوافيك بالطعام كل صباح !.

عالية : وهل يمكن لنا أن نمكث معك طول هذه المدة ؟

عامر : لا أظن ذلك ! هل سنترك أمّنا وحيدة فى المنزل ؟ سأمكث هنا وحدى ، وأختبئ بين شجيرات الشوك فوق الصخرة ، حيث سأوارى آلة التصوير ، وألتقط صوراً

نادرة للحدأة الصغيرة وهى تتعلم الطيران ! وصوراً لأفواج الأرانب وهى تغادر جحورها إلى المزارع قبل المغرب ، لتعود إليها فى الفجر !

وعندما وصل المغامرون إلى سور القصر ، تسلّقوا الصخرة ، وعبروا الكوبرى المعلّق ، وتدلّوا بالحبل إلى الفناء فى سهولة . لقد أصبحت عملية روتينيّة لا تحتاج منهم إلى مهارة أو جهد أو عناء !

كانوا يتلهّفون إلى اكتشاف باقى القصر . وكان هذا هو برنامج اليوم .

اخترقوا الردهة المظلمة على ضوء بطارية ، حيث عثروا على باب خشبى فتحوه ، وعبروا منه إلى حجرة واسعة . ولكنهم توقفوا فجأة . كانت هذه الحجرة تختلف عمّا سبقها ! فهى مؤثّثة وليست خاوية كما كانوا يتوقعون ! وكانت رائحة الرطوبة النفّاذة تزكم أنوفهم ، وأشعة الشمس تخترق نافذة واسعة لتضىء طبقات الغبار المتراكم على المقاعد والأرائك . والخيوط التى غزلتها مئات العناكب على مر السنين تتدلّى من السقف والحيطان . إنها تبدو حجرة معيشة أو صالون .

تقدّم « عامر » إلى أحد المقاعد وتناول غطاءه بين يديه ،

فتطايرت منه سحب الغبار حتى كادت تخنقه ، وتهرّأ القماش بين أصابعه ! فقال : يا لها من غرفة غريبة ! يخيّل لى أن الزمن قد توقّف فى هذه الحجرة !. لماذا تُركت هكذا ؟؟

غادروها ودخلوا حجرة مجاورة ، فإذا بها مؤثّثة أيضاً ، وكانت حجرة الطعام . كانت خيوط العنكبوت تصل حتى سطح المائدة ، وكان الصدأ يعلو الأوانى المعدنية . هل هى من الصفيح أو الفضّة . . لا أحد يعلم . . لقد اختفت معالمها !

عارف : إن الغموض يحيط بهذا المكان . ويبدو أن الرجل الشّرير الذى تحدثّت عنه « محبوبة » ، ويتحدث عنه القرويون ، كان يعيش هنا . أيكون قد غادر المنزل فجأة ولم يعد ! ومن يومها لم يجرؤ أحد على دخول القصر !

خرجوا من حجرة الطعام إلى المطبخ المجاور . وكان يقع فى ركن من أركانه فرن لم يروا له مثيلاً من قبل ، وعلى سطحه بعض الأوانى الحديدية السوداء الثقيلة . حاولت « عالية » أن ترفع آنية منها فلم تتمكن من زحزحتها فقالت : لا بدّ أن طهاة هذا العصر كانوا من أبطال رفع الأثقال !.

وكان ما لفت نظرهم وجود حوض معدنىّ فى أحد الأركان ، وبجواره طلمبة للمياه . ولما ذهبوا إليها وجدوها قديمة الطراز ،

ذات قبضة حديدية تستعمل لرفع المياه من باطن الأرض . وكان « عامر » ينظر إليها فى دهشة ، ثم إلى الأرضية الحجرية للمطبخ ، وقد تجمدت نظرته على بقعة معيّنة تقع أسفل الطلمبة ، وقال : من أين أتت هذه المياه ! إنها حديثة ! تسربت هنا من ليلة أو ليلتين . . وإلا لكانت جفّت منذ زمن طويل !.. ثم نظر إلى السقف ، ربما كانت ترشح منه المياه ، ولكنه كان جافًّا تفترشه خيوط العنكبوت !

عالية : انظر يا « عامر » . . إن يد الطلمبة لا يعلوها الصدأ ، بل هى تلمع كأن يداً تداوم على استعمالها !.

قالت ذلك وقد سرت القشعريرة فى بدنها ! إذ من يضخّ الماء فى مثل هذا القصر المهجور ! لا بدّ أن يكون إنساناً ، وليس شبحاً !

كان « مرجان » يشعر بالعطش ، فأخذ يلعق الماء من البِرْكة الصغيرة . فمنعه « عارف » وقال : سنرى إذا كانت الطلمبة لا تزال تعمل ! ثم قبض على اليد وأخذ فى تشغيلها ، وإذا بالمياه تتدفّق منها إلى الحوض ، وكان بعضه ينسكب على الأرض فى نفس البقعة !

صمت الجميع ! فهذا يعنى أن أحداً قد ضخّ مياهاً

فى الأيام القليلة الماضية !!..

محبوبة : إن الرجل الشرّير ما زال فى الدار !

سمارة : لا تكونى بلهاء يا « محبوبة » ! الرجل الشرّير ذهب منذ زمن طويل ولن يعود ! هل تعرفين أحداً من الفلاحين يدخل هذا المنزل ؟

محبوبة : لا .. أبداً .. إنهم يخافون من هذه الدّار المسكونة !

شعر المغامرون بجوّ غريب متلبّد يخيّم على القصر ، وأنهم فى حاجة إلى الخروج حيث الشمس والهواء .

عارف : بماذا تفسّر ذلك يا « عامر » ؟ من الذى ضخّ هذا الماء ؟

عامر : على كل حال إننا لم نر أية إشارة تدلّ على وجود أحد بهذا المنزل . أنا أعتقد أن متشرداً دخل المنزل وشرب قبل أن يغادره !

هذا تفسير معقول لا بأس به !

عالية : وكيف دخل ؟؟..

عامر : لا بد أن هناك طريقة ما !

محبوبة : لا توجد .. أنا أعرف المكان .. لا طريقة

هناك للدخول !

عامر : لنخرج الآن إلى الهواء الطلق ، فأنا أشعر بالجوع .

وبينما هم يتناولون طعامهم وقد افترشوا أرض الفناء ، قال « سمارة » : يا له من يوم مثير ! ما رأيك الآن يا « عامر » فى قضاء الأيام القليلة وحدك فى هذا المكان ؟؟..

عامر : لن أكون وحيداً . ستكون معى « زاهية » .. و « مرجان » .. و « الحدادى » .. والأرانب !

عالية : أنا لا أحب أن أكون هنا وحدى . سوف أعيش على أعصابى حتى أعرف من ضخّ هذا الماء !!.. هل ستبيت هنا وحدك ؟..

عامر : ولم لا ! أنا لست خائفاً ! ولماذا أخاف ؟ فكما دخلنا نحن المنزل ، يستطيع الفضوليون أمثالنا أن يدخلوه أيضاً !

عالية : نحن نعرف كيف دخلنا ! ولكن كيف دخل غيرنا ؟؟..

عارف : عن الطريق الذى يدخل منه « مرجان » مثلاً !!.

أما كيف يدخل « مرجان » ويخرج ، فهو ما يتحتم على المغامرين أن يكتشفوه ! وعندئذ لن تدعهم الحاجة إلى عبور الكبارى وتسلّق الجدران والحوائط !!...

* * *

كانوا يشعرون بالتعب عندما دخلوا فيلا « دار الهنا » ، حتى أنهم فقدوا الحماس للتحدّث مع والدتهم عن مغامرتهم الصغيرة بالتفصيل .

ولكن عندما ذكر « عامر » لوالدته اكتشافهم لبقعة الماء فى المطبخ ، قالت لهم : أنتم دائماً تتوهّمون أشياء كثيرة ، لتقنعوا أنفسكم بأنكم مغامرون . ربما كان الماء يتسرّب من الطلمبة لأنها قديمة ! فلماذا كل هذه التخيّلات ؟ ومثل هذه التهيّؤات هى التى تثير الرعب فى قلوب الفلاحين ، حتى اللّصوص تجنّبوا السطو على الأثاث المهجور !

وأبدت الوالدة الاهتمام باقتراح « عامر » بتصوير الطيور والحيوانات ، وقالت له : إنك ورثت هذه الهواية عن جدّك . فقد كان والدى يقضى الأيام وهو يختفى فى « اللّبْدة » ليصوّر البطّ والطيور فى البحيرة .

عالية : وما هى اللّبْدَة يا أمى ؟

فأجابتها : هى مخبأ يشبه البرميل الكبير ، يصنع من البوص ، ثم يوضع ليعوم فوق سطح الماء ليختفى الصائد بداخله ! فينخدع الطائر فيه ويظنّه بوصاً ينمو فى المياه .

وعندما يحطّ البط على البحيرة بالقرب من اللّبدة ، أو وهو فى طريقه إلى الماء ، يتلقاه الصائد بخرطوشه .

عالية : ياللقسوة ! أنا لا أحب أن أختبئ فى واحدة منها !

وقد وافقت الوالدة على فكرة « عامر » عن طيب خاطر ، بل هى شجعته عليها . ولما كانت « عالية » لا تطيق صبراً على البعد عن أخيها « عامر » فقد قالت له : سأرافقك يا « عامر » فى هذه المهمة .

عامر : لا يا « عالية » ! . سوف تزعج تحركاتك « الحدادى » والأرانب . وأنت فى حاجة إلى رعاية هناك ، فى حين أريد أن أتفرّغ لالتقاط هذه الصور النادرة .

وعندما ظهرت خيبة الأمل على وجهها ، رأى « عامر » أن يطيّب من خاطرها فقال : يمكنكم أن تجيئوا لى بالطعام كل صباح ، وأن تمضوا اليوم هناك على أن تغادروا القصر بعد الغداء . ويمكننى أن أصعد إلى السطح قبل حلول الظلام لنتبادل الإشارات ! وسألوّح لك يا « عالية » بقميصى الأبيض ، وسوف تشاهديننى بوضوح من نافذة الفيلا !

عالية : هذه فكرة جميلة ! سنتبادل تحية المساء كل يوم قبل النوم ! ولكن أين ستقضى ليلتك يا « عامر » ؟

عامر : على أريكة فى غرفة الجلوس ، بعد أن أنفض عنها الغبار وخيوط العنكبوت !!

وهنا نظرت إليه « محبوبة » فى دهشة بالغة . إنها لا تتخيّل إنساناً يمكنه المبيت فى هذا القصر ! لا بدّ أن يكون « عامر » هو أشجع إنسان فى العالم ! .

حان الوقت لأن تغادرهم « محبوبة » إلى خصّها ، حيث ستقابلها أمّها بالتأنيب والتقريع ، وربّما بعلقة ساخنة ، على غيابها الذى طال .

كما حان وقت النوم للمغامرين ، فدخلوا مخادعهم وكلّ منهم يحلم بالقصر الغامض المهجور ، وبالغرف الخالية المظلمة ، وبالأثاث العتيق ، وبخيوط العنكبوت ، وبالمطبخ الواسع والماء ينساب من الطلمبة القديمة على أرضيته الحجريّة !

* * *

وفى الصباح الباكر ، عندما أطلّ « عامر » من نافذته كالعادة عبر البحيرة تجاه الصحراء ، وجد أن الجوّ يبشّر بهبوب عاصفة رملية ! فأصابته خيبة شديدة وهو يقول : يا للأسف ! كنت أريد أن أبدأ مهمتى اليوم ! وكنت آمل أن تبدأ الحدأة الصغيرة فى تعلّم الطيران هذا الصباح . ولكنه طمأن نفسه

بأنها لن تبدأ طيرانها فى مثل هذا اليوم العاصف العصيب !

عارف : هل لديك الكفاية من الأفلام ؟ يحسن بك أن تتزود بقدر كافٍ منها .

عامر : وأين سأعثر عليها فى منطقة قارون ؟ يجب أن أذهب إلى الفيوم لشرائها .

هذه فكرة جميلة ، فالرحلة ممتعة بالأتوبيس من قارون حتى مدينة الفيوم . وهى فرصة لشراء الأفلام وبعض الحاجيات من المدينة ، ومشاهدة معالمها ، بدلاً من إضاعة وقتهم فى الفيلا ، طالما هم لن يذهبوا اليوم إلى القصر فى مثل هذا الجو المتقلّب الذى ينذر بالعاصفة .

وصل المغامرون إلى الفيوم ، وبعد أن اشترى « عامر » عدداً كبيراً من الأفلام الملوّنة ، أخذوا يتجوّلون فى شوارع المدينة . وإذا بهم يفاجأون بصوت ينادى عليهم من الخلف . فتلفّتوا إلى مصدر الصوت المألوف ، وإذا بهم أمام خالهم العقيد « ممدوح » !!..

أخذته « عالية » بالأحضان وصاحت : ما الذى أتى بك إلى هنا ؟ هذه مفاجأة سارّة !

عامر : أراهن أنك تقتفى أثر بعض المجرمين ، وأنك

جئت هنا فى مهمة سرّية مثيرة !

ممدوح : قد يجوز . . وقد لا يجوز ! ما رأيكم فى أن نتناول الغداء معاً ؟

وكان « عامر » يقص على خاله تجربتهم فى القصر أثناء تناولهم الطعام ، وما شاهدوه هناك بالتفصيل .

ممدوح : من المؤسف أنى مقيّد بعمل هام فى الفيوم ، ويتعذّر علىّ أن أذهب إلى قارون لرؤية والدتكم . ولكنى سأزوركم إذا أتيحت لى الفرصة . وعندئذ سأرافقكم لزيارة هذا القصر المشبوه !

عالية : نرجوك يا خالى أن تفاجئنا بزيارتك فى أى وقت .

ممدوح : حسناً ! ربما تمكنت من ذلك فى الأسبوع المقبل . إذ يبدو أن ما جئت من أجله إلى الفيوم تصادفه بعض العراقيل !

عامر : ماذا تعنى بذلك ؟

ممدوح : لا أستطيع أن أفسّر لكم أكثر من ذلك !

وبعد الانتهاء من الغداء ، اصطحبهم « ممدوح » حتى محطة الأوتوبيس . وكان يودّعهم وهم يصيحون : نحن فى انتظارك . . فاجئنا بزيارتك . . فليس بالمنزل تليفون !

الحجرة السحرية

عالية

بعد عودة المغامرين من الفيوم ، أخذت العاصفة تشتدّ ، وتثير الرّمال بفعل الرّياح التى تهبّ من الصحراء وكان « عامر » يجلس على مضض ، إذ كان يخشى أن تنقل الحدأة صغيرها إلى مخبأ أمين ، إذا ما استمرت العاصفة فى شدّتها . ولكنه كان يأمل أن تنقشع العاصفة قريباً ، ويصفو الجو أثناء الليل ، ليذهب إلى القصر فى الصباح .

عالية : أراهن أن خالى « ممدوح » جاء إلى الفيوم وراء الرجل الشرّير الذى كان يسكن القصر المهجور ! كم هو مثير أن نأخذ خالى معنا إلى هناك !

وكان من حسن الحظّ أن هدأت العاصفة وصفا الجو أثناء الليل ، وبزغت الشمس فى الصباح ، عندما فتح « عامر » نافذته كالمعتاد . يا له من يوم جميل . إنه الهدوء بعد العاصفة !

كانت طلمبة قديمة الطراز . لكنها كانت تبدو كأن يدا تداوم على استعمالها

عارف : سنصحبك يا « عامر » إلى القصر ، وسنحمل لك حاجياتك ، ولا بد لك من بطانية لتقيك برد الليل . وسنقضى يومنا معك ثم نتركك لطيورك وحيواناتك بعد الظهر !

وفى التاسعة صباحاً بدأت القافلة سيرها تقودها « محبوبة » . وكان من المقرّر أن يرافق « عامر » « زاهية » و« مرجان » ليؤنساه فى وحدته فى أثناء الليل .

تأكدت « عالية » من وجود بطّاريتها معها . فهى لن تكرّر تجربتها السابقة فى الغرف المظلمة ، وخيوط العنكبوت تختلط مع شعرها !..

عبر المغامرون الكوبرى المعلّق إلى الفناء ، حيث وجدوا « مرجان » فى انتظارهم هناك ! أما كيف دخل هذا العفريت فلا أحد منهم يعلم ! وكانت « الحدادى » تصيح ، و« زاهية » تردّ لها التحيّة بأحسن منها !

أما « عامر » فسارع فى تسلّق الصخرة ، ودخل مخبأه بين شجيرات الشوك ، ليتأكد من وجود الحدأة الصغيرة . وكم كانت سعادته عندما رأى الأمّ وهى تحطّ فى العشّ الكبير ، وكانت تحمل بين مخالبها أرنباً صغيراً وضعته أمام صغيرها . وكان « عامر » يقول لنفسه : إن الشّوك يؤلمنى ، ولكن عذابه

سعد عامر عندما رأى الحدأة الأم تضع أرنباً أمام صغيرها .

يهون فى سبيل التقاط بعض الصور النادرة .

عالية : لم تقل لنا أين ستقضى ليلتك يا « عامر » ؟ إيّاك أن تنام داخل هذه الغرف المخيفة ، فسوف تزحف عليك العناكب !

عامر : لا أعتقد ذلك . بل سأنام على الرمال فى ركن من الفناء ، أو فوق الصخرة ، وسأحتمى بالبطّانية إذا شعرت بالبرد !

ولما حان موعد انصرافهم ، ودّعهم « عامر » وهو يحمل القطّ بين يديه ، خوفاً من أن يتبع « عارف » . وعندما اختفت أصواتهم ، وخيم السكون المخيف على الفناء ، وجد « عامر » نفسه وحيداً بين الأسوار العالية . ولكنه ما كاد يضع « مرجان » على الأرض حتى جرى واختفى ! لا فائدة تُرجى من هذا القط اللّعين ! ! ..

تسلّق الصخرة ، ودخل مخبأه بين الأشواك ، وأخذ فى تجهيز آلة التصوير ، وتصويب عدستها إلى العشّ القريب ، تمهيداً لالتقاط الصور فى الوقت المناسب .

قرّر أن ينام ليلته حيث هو ، استعداداً للتصوير فى الفجر عند بزوغ الشمس ، وعندما تبدأ الحياة تدبّ فى الجوّ

والأرض .

وقبل أن يهجع فى فراشه الشائك ، نظر من خلال العدسة وقال : عظيم . . . ! يا له من منظر فنىّ رائع . . سألتقط أول صورة مع أول خيط من خيوط الشمس !

وفجأة تذكرّ « عالية » ! ألم يعدها بأن يلوّح لها بقميصه الأبيض قبل حلول الظلام ؟.. وفى لمح البصر كان يقف على الشرفة العالية بسطح القصر ، وهو يلوح بقميصه فى اتجاه الفيلا ! . . وقد أسعده أن يرى نقطة بيضاء وهى تلوّح له فى الأفق البعيد . لا شكّ أنها « عالية » تردّ له تحية المساء !

ابتدأ الظلام يخيّم عندما هبط « عامر » سلّم القصر . وما كاد يدخل الفناء حتى شعر بالحركة والحياة تدبّ فى أرجائه . فصاح قائلاً : الأرانب !! إنها تعدّ بالمئات . . إنها فى طريقها الآن إلى المزارع فى طلب الطعام . فغيّر رأيه فى مكان المبيت ، وأحضر بطانيته ، وعلبة من البسكويت ، ورقد فى ركن من الأركان . وكان يشعر بالسعادة وهو يراقبها وهى تدخل وتخرج من جحورها . كان المنظر رائعاً ! كان بينها الصغير والكبير . الأسود والأبيض والأصفر والأرقط . كان بعضها يمضغ الأعشاب ، والبعض ينطّ ويقفز ويلعب !

كان « عامر » يقول لنفسه وهو يشاهد هذا المنظر الفريد : إنها لا تدرك الخطر المحدق بها . . لو كان فى وسعى أن أحذّرها من الخطر لفعلت . ولكن لا حيلة لى فى ذلك !

كان النعاس يغالبه ، فلم ير داعياً لأن يصعد إلى فراشه الشائك فوق الصخرة . فرأى أن يبيت ليلته حيث هو . وفى طرفة عين كان يغطّ فى نومه .

وكانت الأرانب تحوم حوله ، وهى تكاد تمسّه بعد أن هدأت حركته !

وما كادت أحلامه السعيدة تبدأ ، حتى استيقظ فجأة ! إن شيئاً أيقظه لا يدرى ما هو ! فتح عينيه وظلّ يحدق فى السماء والنجوم ، وهو لا يدرك أين هو ! وكانت « زاهية » بجواره فأخذ يحدّثها ، فهى المخلوق الوحيد الذى يؤنس وحدته . قال لها : ترى ما الذى أيقظنى يا « زاهية » ؟ .

تطلّع حوله فلم ير غير الأرانب ، وشبح القصر يبدو له فى الظلام كالقلعة ! ولكنه كان متأكداً أن شيئاً ما أيقظه ! فأخذ يتطلّـع حوله ويتصنّت ، فلم يصل سمعه غير نعيق البوم ، وصياح الوطاويط وهى تقتنص الخنافس فى ظلام الليل !

وبغتة وقع بصره على الشرفة العلويّة بالقصر ، حيث كان

يلوّح لعالية بقميصه ، فتجمدّت أطرافه من المفاجأة . فقد رأى ومضة ضوء يشعّ من الشرفة ! وكان يبدو له أن الضوء ينبعث من بطارية . وانتظر طويلاً علّه يعاود الكرّة ، ولكن الضوء اختفى تماماً ! فجلس يفكّر : ما الذى أيقظه ؟ إن ضوء البطارية البعيد لا يوقظه ! هل هو وقع أقدام ؟ أهناك شخص غيره فى المنزل ؟ .

ظلّ فى حيرة من أمره ، أيدخل القصر ليتحرّى الحقيقة ؟ إن الشجاعة تقتضيه أن يذهب إلى السطح ليتأكد من خلوّه . فدخل القصر بالرغم من شعوره بالخوف الشديد ، وكانت بطاريته تضىء له الطريق . وصعد السلّم بحرص شديد وهو يتحسّس طريقه حتى وصل إلى الشرفة . ولكنها كانت خالية ! فأخذ يحدّث نفسه قائلاً : لا بدّ أنى واهم . . سأرجع لأعاود النـوم !

وبينما هو يعبر الردهة الخالية المظلمة ، إذا به يتوقف فجأة ! فقد وصله صوت قعقعة مكتومة ، وطرطشة مياه !

سرت القشعريرة فى ظهره ، وقال : ليتنى ما كنت وحيداً الآن ! إن شخصاً يضخّ الماء فى المطبخ !

وقف ساكناً لا يدرى ماذا يفعل ، إلى أن غلبه الخوف

ففرّ هارباً من الردهة إلى الفناء ، وكان ضوء القمر يغمره حينذاك ! ثم جلس فى ظلّ الصخرة وهو يشعر بالعار من نفسه . لماذا يفرّ هارباً ؟ إنه ليس جباناً ! وقال لنفسه : سأبرهن أنى لست جباناً ، وسأدخل المطبخ وأكتشف مَنْ هناك ! إنه أفّاق أو متسكّع يعرف طريقه إلى البيت ، ولا شك أنه سيذعر من رؤيتى أكثر مما سأذعر أنا من رؤيته !!..

ذهب إلى المطبخ فى بطء وأطلّ برأسه فى حرص ، ولكنه لم يجد أحداً . فشعر بزوال هذا الكابوس الرابض على أنفاسه !

لا شكّ بأن هذه التهيّؤات هى من بنات أفكاره ، يبثّها فيه الخوف . فهو إذن لم ير الضوء .. ولم يسمع القعقعة المكتومة .. ولا طرطشة المياه . إنها مجرّد تخيّلات !

صمّم على النوم مهما يكن الأمر ، مهما ظهر الضوء ، ومهما علا صوت الطلمبة وطرطشة المياه ، ومهما سمع وقع أقدام .

كان يوماً صحواً عندما استيقظ « عامر » فى الفجر ، وتسلّق الصخرة ودخل مخبأه بين شجيرات الأشواك . كانت الحدأة الصغيرة ما زالت نائمة ، وظلّت على هذا الحال حتى ملّ الانتظار . ولكنه كان يعلم أن الصبر هو سلاح

مصوّر الحيوانات والطيور والطبيعة .

وأخيراً صحت الحدأة فجأة ، وتمطّت بأجنحتها ، وزحفت حتى حافة العشّ وأطلّت برأسها ، وكأنها تبحث عن أمّها ! وكان « عامر » يقف خلف آلته متحفزاً ، فضغط على الزرّ والتقط المنظر ! ثم ما لبثت الأمّ أن حضرت بأرنب صغير بين مخالبها وضعته فى العشّ ، والصغيرة تحتضنه بين أجنحتها لتخفيه عن العيون ! وكان « عامر » يوالى التقاط الصور بسرعة وهمّة ، وقد نسى القصر وما يصدر عنه من إشارات وأصوات !

كان يشعر بالسعادة والفخر كلما تخيّل صوره الفوتوغرافية الملوّنة وهى تحتلّ صفحات المجلاّت العلمية ، موقعة بإمضائه !

كان منهمكاً فى عمله فلم يشعر بقدوم إخوته . ولكنه تنبّه على صوت « عالية » وهى تناديه : أين أنت يا « عامر » ؟

فصاح من مخبئه : أنا هنا ! سأوافيكم حالاً !

عالية : كيف قضيت ليلتك يا « عامر » ؟

عامر : عال جدًّا .. وأنتم ؟ .

قرّر ألاّ يخبرهم عن مخاوفه ممّا رآه فى اللّيل . فما رآه يبدو الآن فى وضح النهار سخيفاً لا معنى له ، وقد يسبّب لهم إزعاجاً

لا طائل تحته !

أخذ المغامرون يتجوّلون فى القصر ، وصعدوا إلى السطح . وكان « عامر » يبحث عن أثر قد يكشف له عن وجود شخص غريب غيرهم . . قصاصة ورق . . أو عقب سيجارة مثلاً . ولكنه لم يجد أثراً لذلك !

عالية : هل ستعود معنا هذا المساء يا « عامر » ؟

عامر : طبعاً لا ! . . . فأنا متأكد من أن الحدأة الصغيرة ستبدأ قريباً أول درس لها فى التحليق !

عالية : حسناً ! ولكنى كم أكره أن تبقى وحدك هنا ؟

عامر : إن القصر ليس مفزعاً كما تتوهمين ! كل ما فى الأمر أنه قديم مهجور !

عارف : حان الآن موعد رحيلنا . . هل ستظهر لنا على سطح القصر كالأمس ؟

عامر : نعم . . فى الميعاد المحدد !

كان صوت وقع أقدامهم على السلّم الخشبىّ يرنّ فى فضاء القصر . خرجوا إلى الفناء وودّعهم « عامر » قائلاً : سنتقابل باكر . .

عالية : إن شاء الله . . وإنى أشكرك فقد شاهدتك

بالأمس بوضوح وأنت تلوّح لى بقميصك الأبيض . وعلى فكرة ! لقد رأيتك أيضاً وأنت تصدر لى الإشارات الضوئية أربع مرات ! !

صمت « عامر » ولم يجب . فما دامت « عالية » قد شاهدت الضوء ، إذن فقد كان هناك من يشير ببطاريته فعلاً من أعلى الشرفة ! ! إنه لم يكن يتخيّل أو يحلم ! وكذلك صوت الطلمبة ! وطرطشة الماء ! إنها الحقيقة إذن ! هناك شخص غريب فى هذا القصر ! من هو يا ترى ؟ وماذا يفعل ؟

وعندما فاق إلى نفسه ، كانوا قد غادروا المكان . كم كان بودّه لو أخبرهم بحقيقة ما رآه ! ولكن لا فائدة الآن . . لقد انصرفوا . . .

رجع إلى مخبئه حيث الأمان ، فلن يخطر على بال أحد أن يبحث عنه وسط الأشواك ! ونام حتّى منتصف الليل . ولكنه صحا فجأة وهو يشعر بالضيق والتعب فى مكانه الضيّق . ونظر فى ساعته الفوسفوريّة ، فوجد عقاربها تشير إلى الثانية عشرة والنصف .

لم ير غير ضوء القمر . . ولم يسمع غير صوت الريح يأتيه من البحيرة . ولكن خيّل إليه بعد قليل أنه يسمع صوت الطلمبة

وطرطشة المياه !.. وها هو ذا أيضاً يسمع صوت وقع أقدام !.. لا شك فى ذلك ! إنه لا يتوهّم الآن ! أيكون صاحبها ذاهباً إلى الشرفة ليعطى إشاراته الضوئية ؟ .. إذا صحَّ هذا ، فسينهمك هذا الشخص بعض الوقت بعيداً عن القصر . وعندئذ عليه هو أن ينتهز هذه الفرصة الذهبية للبحث عن مخبئه ! . .

لا ريب أن هذا الشخص يعيش فى مكان ما من القصر ! إنه ليس فى الغرف المهجورة بطبيعة الحال ! ولكن أين ؟ إن الماء يتوفّر له من الطلمبة ، ولكن من أين يأتيه الطعام ؟؟.. يا له من سرّ غامض !

وبينما هو فى تفكيره ، إذا بالقط « مرجان » يظهر أمامه فجأة ! ما الذى أتى بهذا الشيطان فى مثل هذا الوقت ؟ لا شك أنه اكتشف أن الأرانب لا تظهر إلاّ فى الليل ، فجاء ليطاردها إلى جحورها !

سار إلى القصر وهو يتلصّص ، يتبعه « مرجان » . وكانت الإثارة تهزّه فلم يشعر بالخوف ، والفضول يلحّ عليه فى اكتشاف هذا الشخص . دخل الردهة المظلمة ، فلفت نظره ضوء خافت ينبعث من مكان ما ! فأصيب بدهشة بالغة وأخذ

يتلفت حوله ، فإذا بالضوء ينبعث من أرضيّة الردهة المظلمة . تقدم خطوة إلى الأمام بحذر ، فوجد كوّة نظر منها إلى أسفل . ماذا يكون تحت الأرض فى مثل هذا المكان المهجور ؟ أهو قبو أو سجن أو جبّ مسحور ؟!..

* * *

الرجل الأصلع ذو اللحية !

عارف

كان «عامر» يتعجّب لهذه الكوّة المحفورة فى أرض الحجرة ، فهى لم تكن موجودة من قبل ! والأعجب من ذلك أن النور كان ينبعث منها من تحت الأرض ! ولما دقّق النظر ، رأى درجات حجريّة ضيّقة تقود إلى أسفل !

والآن ماذا يصنع ؟ إنه لو هبط الدرجات لاستكشاف ما تحت الأرض ، فإن هذا الشخص قد يفاجئه ؟ أو قد يسدّ عليه الفوّهة ! فرأى أن يسرع إلى الفناء ، فإذا رآه وهو ما زال فى الشرفة يصدر إشاراته الضوئية ، عاد إلى الردهة وهبط إلى أسفل . . واستكشف ما بالداخل ، ثم رجع بسرعة البرق إلى مخبئه الأمين !

ولما وجد الإشارات الضوئية ما زالت تنبعث من الشرفة العالية ، عاد أدراجه وهبط الدرج الحجرى . فوجد نفسه

فى غرفة واسعة أنيقة ! لم تكن الحجرة مهجورة كباقى الحجرات ، وكانت خالية من الغبار وخيوط العنكبوت !

رأى سريراً عالياً ، ذا طراز قديم من المعدن الأسود ، المحلّى بقطع من النحاس الأصفر ، تغطّيه ناموسية من القماش السميك . . لتدرأ أسراب الناموس الوافد من المزارع وبحيرة قارون ! وسجّادة من سجاجيد قرية «الحرّانية» المزخرفة بالرسوم الفولكلورية الرائعة ، معلّقة على الحائط المقابل ! ! والستائر السميكة تتدلىّ من السقف حتى تصل إلى الأرض فى الحائطين الآخرين ! وفى وسط الحجرة بعض المقاعد . ومائدة صغيرة عليها بعض الطعام ، ودورق ماء . . لا شكّ أن مصدره هو الطلمبة ! . وفى ركن من الأركان خزانة حديدية . أما مصدر الضوء فكان «لمبة» جاز زجاجية من الطراز العتيق ، موضوعة على مكتب يجاور الخزانة .

وكان هذا هو كل أثاث الغرفة . . لا شىء فيه يوحى بالغموض أو السرّية !

وكان يتأمل سجّادة الحرّانية المعلّقة على الحائط ، وقد نسى نفسه ، عندما سمع صوتاً فى الخارج ! فأطفأ بطاريته ، وفى لمح البصر تسلّق الدرج إلى الردهة الخالية .

ثم اخترقها إلى حجرة الجلوس المهجورة . ولكنه فى لهفته وعجلته اصطدم فى الظلام بمقعد ، وسقط على الأرض سقطة عنيفة زلزلت لها أرض الغرفة !

وعلى حين فجأة توقّف صوت وقع الأقدام . من البديهى أن الضجيج وصل إلى سمع الرجل ، وأنه يقف الآن ساكناً صامتاً متسمّعاً ! وكان قلب « عامر » يدقّ بعنف ، حتى خيّل إليه أن دقّاته ستصل إلى أذنى الرجل ! وابتدأ شعر رأسه يقف ، والعرق الغزير يسيل على جبينه . عندما سمع خطوات الرجل وهو يستأنف السير !

وكان « عامر » يختبئ وراء مقعد عالٍ ، فلم يره الرجل وهو يدخل الحجرة . ولكنه سمع الرجل فجأة وهو يصرخ صرخة مدويّة ، ويقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! . ووقعت بطاريته على الأرض وتهشّمت ، وفرّ هارباً من الغرفة !

فتعجّب « عامر » لذلك ولم يفقه له سبباً . ولكن ما حدث هو أن « مرجان » ، وكان قد تسلّل وراء « عامر » داخل القصر ، أدرك بغريزته أن سيّده فى خطر ، فما كان منه إلاّ أن وثب فجأة ، وأنشب مخالبه الحادة فى وجه الرجل الغامض !

وعندما هدأ الحال سار « عامر » على أطراف أصابعه ،

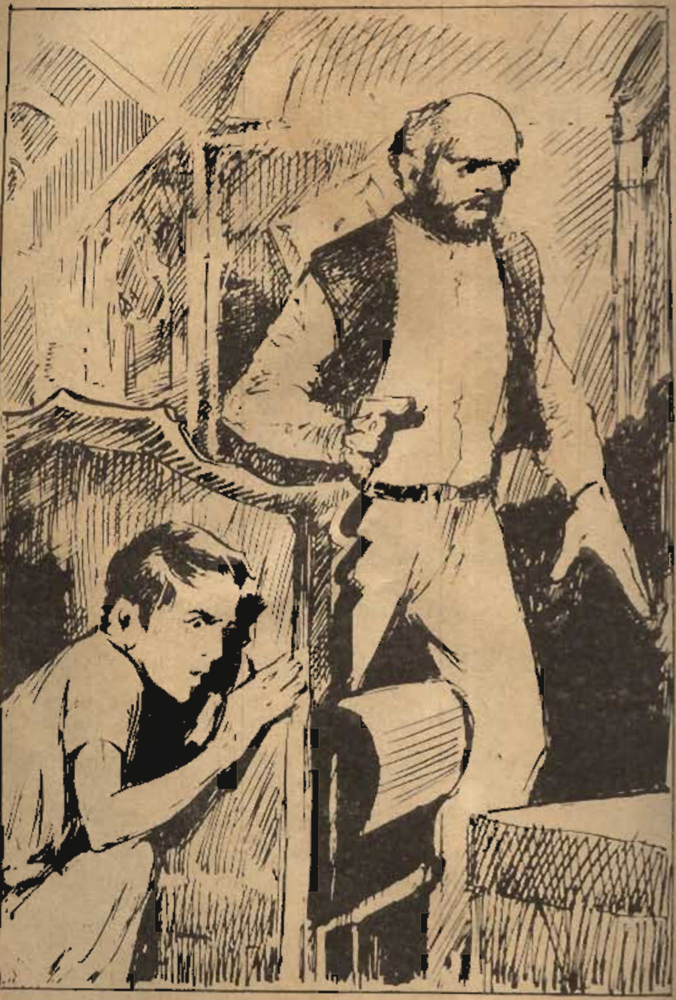

وكان عامر يختبئ وراء مقعد عال ، فلم يره الرجل وهو يدخل الحجرة

و « مرجان » يتبعه كظلّه ، وأطلّ برأسه داخل الردهة المظلمة ، فلم ير الضوء وهو يخرج من باطن الأرض ! لقد اختفت الفتحة !..

كان يرتعد من الخوف وهو يسير فى طريقه إلى الفناء . إنه كان على وشك الهلاك ! كان يتمنّى فى هذه اللحظة لو أن إخوته كانوا معه ، وكان لا يطيق صبراً على إخفاء هذا السرّ عنهم . وكان على يقين من أن هذا الرجل الغامض لن يفضح مخبأه خلال النهار ! بل سيظلّ مختفياً فيه !

لا بدّ أن هناك من الأسباب الوجيهة ما تدعوه إلى الاختفاء !

ولكن من أين يأتى بطعامه ؟ الماء سهل يحصل منه على كفايته من الطلمبة ! أما الطعام فهو مشكلة ولغز ! ربما كان أعوانه يأتون له به، بعد أن يتلقّوا منه الإشارات الضوئية ! هذا جائز . . وفى هذه الحالة فليس من المستبعد أن يأتى أعوانه إلى القصر فى أيّة لحظة !! فليكن على حذر !

دخل مخبأه بين الأشواك ليأخذ قسطه من الراحة حتى الصباح . وكان يفكّر ويقول : أشعر أنّنا على أبواب مغامرة جديدة !

نام حتى الصباح ، واستيقظ فى الساعة الثامنة . وكان

يشعر بالراحة بعد أحداث الليلة الماضية . ثم تناول إفطاره من البسكويت والفاكهة .

وما كاد ينتهى منه حتى فوجئ برجلين وهما يسيران فى الفناء فى حرّية تامة . . ثم يدخلان القصر ! من الغريب أنهما لا يحاولان الاختباء والتستر كالرجل الغامض ! ولكن من أين دخلا ؟ أهناك مدخل سرّى ؟ أم أن فى حوزتهما مفتاح البوابة الضخمة الخارجية ؟

وهنا تذكّر أنه ألقى بالأمس كيساً ورقياً مملوءاً بقشور البرتقال فى الفناء !! . يا للكارثة لو عثر الرجلان على هذا الكيس !

كان كل منهما ضخم الجثة ، قبيح المنظر . وكان أحدهما أصلع ، ملتحياً ، تبدو القسوة المتناهية فى عينيه الضيّقتين . وكان الآخر على شاكلته ، إلا أنه كان طويل الشعر ، حليق الذقن .

خطر « لعامر » أن يلتقط لهما صورة من مخبئه وهما أسفل الشجرة . . . من يعلم ؟ ربما احتاج إليها خاله « ممدوح » !!.. كما أن شخصية الرجل الأصلع الملتحى جديرة بالتسجيل . كانت تشبه تماماً شخصية اللصوص وقطاع الطرق التى يشاهدها فى السينما والتليفزيون !

فأسرع فى تصويب عدسته إليهما ، وكان الرجل الأصلع فى مواجهته . وعندما ضغط على الزرّ ، وصل صوته إليهما . فتلفّت الأصلع حوله وقال لزميله : أسمعت صوتاً ؟ فأجابه : نعم . . ربما صدر عن حدأة أو أرنب . . فالمكان مملوء بالأصوات الغريبة كما تعلم !..

وبعد أن تحدثا بصوت خافت ، انفصلا ، وكلّ يبحث فى الفناء عن صاحب قشور البرتقال الطّازجة ! ثم دخلا القصر يبحثان فى أرجائه . ولكن لم يخطر على بالهما أن صاحب القشور يكمن فوق الصخرة وسط الأشواك !!..

كانت الحدأة الأم تحوم حول الشجرة وهى تجزع على صغيرها من هذين الرجلين . ولكنها حطّت فى العش عندما اختفيا . وعندئذ نسى « عامر » الرجلين تماماً ، وذهب عنه الخوف .

لقد حان الوقت لتأخذ الحدأة صغيرها إلى مكان أمين . فاستعد بعدسته ليلتقط المنظر الفريد . أخذت الأم ترفرف بجناحيها وهى تصيح . والصغيرة تحاول تقليدها ، ثم ارتفعت قليلاً فى الهواء ، فشرعت الصغيرة فى محاكاتها ، فارتفعت قليلاً حتى وقفت على أطراف مخالبها وهى مفرودة الجناحين .

فكانت أشبه براقصة الباليه وهى ترقص على أطراف أظافرها ! إلى أن ارتفعت وطارت ، وهما يصيحان صيحات الفرح والانتصار !

وكان « عامر » يسجّل هذه المظاهرة خطوة خطوة ، إلى أن أتى على آخر الفيلم !

* * *

وبينما كان « عامر » يخرج الفيلم الثمين من آلة التصوير ، إذا به يسمع أصوات إخوته . كم هو سعيد الآن برؤيتهم !

عالية : ماذا حدث يا « عامر » ؟ إنك تبدو جاداً . لقد أحضرنا معنا كميّات كبيرة من الطعام ، لأن أمنا ذهبت إلى الفيوم لزيارة خالتنا المريضة . وقد سمحت لنا بأن نبقى معك هنا ثلاثة أيام ، وهى مدة تغيّبها عن المنزل !

عارف : ولكن يبدو على وجهك أنك لا ترحّب بقدومنا !

عامر : اسمعوا ! هناك بعض الحوادث العجيبة التى تجرى فى هذا القصر ! وربما يحسن بنا أن نعود إلى منزلنا !

سمارة : نعود إلى البيت !!.. ولكن لماذا ؟ قصّ علينا كل شيء . .

عامر : سأقص عليكم ماحدث . . ولكن أين « محبوبة » ؟؟

عالية : ضربتها أمّها علقة ساخنة ، عندما قالت لها إنها ستمكث معنا ثلاثة أيام ! ومنعتها من الخروج ، فاضطررنا إلى المجيء بدونها . ولا شك أن المسكينة تشعر الآن بالبؤس والحزن !

عامر : ألم تقابلوا أحداً وأنتم فى الطريق إلى القصر ؟

عارف : لقد شاهدنا ثلاثة رجال .. لماذا تسأل ؟

عامر : ألم يكن من بينهم رجل أصلع له لحية سوداء ؟

عارف : لم نتبيّنهم جيّداً ، فقد كانوا بعيدين جداً عنا !

صمت « عامر » قليلاً ، ثم أخذ يحدّث نفسه بصوت مسموع : ثلاثة رجال !!.. يبدو أن الرجل الغامض ذهب معهما أيضاً !

عالية : ما هذا الذى تقوله ؟ أىّ رجل غامض !!...

بدأ « عامر » فى رواية قصّته بالتفصيل . وكانوا ينظرون إليه فى ذهول وهو يصف لهم الحجرة السرّية !

عالية : غرفة سرّية !.. وتحت الأرض !!..

سمارة : لو علمت « محبوبة » بهذه الحجرة لقالت إن الرجل الشرير سيحبسنا فيها ، وإن أحداً لن يسمع عنا بعد ذلك !..

عامر : المهمّ أن شيئاً غامضاً يحدث هنا . لو كان خالنا « ممدوح » معنا ، لعرف ماذا يصنع !

عارف : ولكننا لا نعرف حتى عنوانه !

عامر : أتظنّون أنه يحسن بنا العودة إلى منزلنا ؟

عالية : ولكن ما دمت تعتقد أن الرجال الثلاثة غادروا القصر ، فما المانع من إلقاء نظرة خاطفة على الحجرة السرية ، فقد نكشف عن سرّها !!

وافق « عامر » على فكرتها ، وذهبوا جميعاً إلى الردهة المظلمة . أخذوا يبحثون فى أرضية الحجرة عن الفتحة ، ولكنهم لم يجدوا لها أثراً !

ولكن « عالية » لمحت ما يشبه المسمار الكبير يبرز من مكان فى الجدار ، فصاحت : انظروا !.. هناك شىء غريب !.
فذهب « عامر » وحرّك المسمار الضخم برفق ، فانزلق فى مجرى إلى أسفل ، ثم سمعوا صوت احتكاك تحت أقدامهم !
قفزت « عالية » فى الوقت المناسب وهى تصرخ ، قبل أن تبتلعها الفوّهة التى كانت تقف فوقها !

كانت أرض الردهة مرصوفة بقطع البلاط المعصرانى السميك كبير الحجم . فأخذت بلاطة منها فى الهبوط ، ثم

توقفت ، وانزلقت إلى الداخل بطريقة غامضة !

عالية : هل ننزل يا « عامر » ؟ أرجوك ! كم هو مثير أن نرى الحجرة السحرية !

كانت « اللمبة » الجاز ما زالت موقدة ، وعلى ضوئها شاهدوا الحجرة .

قال « عارف » فجأة بعد أن تلفّت حوله : ولكن أين « عامر » ؟؟

عالية : ذهب فى أثر « مرجان » . . وسيحضر حالاً . . انظر يا « عارف » . . هنا مسمار آخر فى الحائط ! ماذا يحدث لو جذبته إلى أسفل ؟ . .

قالت هذا وجذبت المسمار ، فانزلق فى المجرى . وسمعوا على أثر ذلك صوت الاحتكاك المعهود ، والبلاطة تتحرك لتسدّ عليهم الفوّهة ! !

* * *

سمارة . . خلف الستارة !

سمارة

ظل المغامرون فترة ليست بالقصيرة وهم فى انتظار « عامر » . ولكنهم لم يشعروا بالخوف أو القلق . فعندما يعود إليهم « عامر » ويجد الفتحة مقفلة ، سوف يفتحها لهم من الردهة العلوية ! ! . . .

عارف : الظاهر أن هذا المسمار يقفل الفتحة فقط . . فى حين المسمار العلوى يفتحها فقط !

عالية : ولكن « عامر » غاب ! تراه ماذا يفعل ؟ لا أظن أنه يقضى كل هذا الوقت فى البحث عن « مرجان » !

سمارة : وما العمل إذا كان الرجال الثلاثة الذين شاهدناهم فى الطريق . . . ليسوا هم الرجال الذين رآهم « عامر » فى القصر ؟؟ . . وأنهم ما زالوا معنا هنا يختفون فى مكان ما ؟

عالية : إذا صحّ ذلك فنحن الآن فى مأزق حرج . .

بل فى خطر داهم !

* * *

أما « عامر » فكان فى وادٍ آخر ! فبعد أن يئس من العثور على « مرجان » ، ذهب إلى الردهة ليلحق بالمغامرين فى الحجرة السرية . ولكنه فوجئ ببابها مغلقاً ! !.. من فعل ذلك ؟ على كل حال فليجرّب فتحها ثانية من الردهة . ولكنه رأى بغتة رجلين يقفان على باب القصر ، وأمامهما كيس قشور البرتقال ! فى حين لمح الرجل الثالث يقف فى الفناء وهو يدخن سيجارة ، ويتلفّت وكأنه يبحث عن شيء . ثم أطفأ السيجارة ودسّ عقبها فى جيبه ، لئلاّ يترك وراءه أثراً ينم عن وجودهم !

إذن لقد اكتشف الرجال الثلاثة وجود المغامرين فى القصر ! فما العمل الآن ؟ لا بد من إخراج من فى الحجرة السرّية أولاً ، ثم مغادرة القصر !

ولكنه كان على مرأى من الرجلين ، فتعذّر عليه فتح باب الحجرة السرّية . فاختبأ خلف ستارة فى حجرة الصالون المجاورة حتى تحين له الفرصة ، وغبارها يكاد يخنقه . وأخذ ينظر خلسة إلى الرجلين . وكانا يتناقشان على باب الردهة ، وإذا به يرى أحدهما وقد توجّه إلى المسمار فى الحائط ، ثم سمع صوت الاحتكاك !

لقد وقع المحظور ! ماذا سيفعل الرجال عندما يرون المغامرين وهم يعبثون فى مخبئهم السرى ؟؟...

سمع المغامرون صوت فتح الباب ، ونظروا إلى البلاطة فإذا بها تتحرك . ولكن لدهشتهم وجزعهم ، رأوا رجلاً غريباً يقف على المدخل ! يا له من رجل مخيف ! إنه يحمل أكبر أنف رأته « عالية » فى حياتها ، كثيف الحاجبين ، ضيّق العينين ، دقيق الشفتين ، عريض المنكبين ، فاره الطول !

كانت دهشة الرجل تفوق دهشتهم . من أين خرج هذان العفريتان ؟ وكان يرى « عارف » و « عالية » فقط ! فقد أسرع « سمارة » واختبأ خلف ستار النافذة !

وأخيراً نطق الرجل القبيح بصوته الكريه الأجشّ : عال ! . . عال ! . . وأخيراً أنتما هنا ! وفى غرفتى ! ما معنى ذلك ؟ . .

أصابهما الذعر القاتل ، وابتدأت « عالية » فى البكاء ! وتجمّدت أطراف « سمارة » وراء الستار ، وكاد يخرّ مغشياً عليه .

ذهب الرجل ذو الأنف الكبير لينادى على زميليه . وعندئذ همس إليهما « سمارة » من خلف الستار : لا تخافا ! قولا إنكما جئتما هنا لمجرد زيارة القصر ، ولا تذكرا شيئاً عنى

وتجمدت أطراف سمارة وراء الستارة ، وكاد يخر مغشيا عليه

أو عن « عامر » ! وسيصل « عامر » وينقذكما . أما أنا فسأختبئ هنا حتى أتمكن من الفرار . إنهم لن يعرفوا أنى وراء الستار ! !..

وما كاد ينتهى من حديثه حتى ظهر الرجال الثلاثة ، وهبطوا الدرج إلى الحجرة .

نظر إليهما الرجل ذو الأنف الكبير والشرر يتطاير من عينيه الضيقتين ، وقال : ماذا تفعلان هنا ؟ والآن . . اعترفا لنا بكل شيء ! وإلاّ سوف تندمان على فعلتكما هذه !

عالية : جئنا لنلقى نظرة على القصر ، ولم نكن نعلم أنه يخصّكم !

الرجل القبيح : وكيف اكتشفتما هذه الحجرة ؟

عالية : عن طريق المصادفة ! نرجوكم أن تدعونا وشأننا .

الرجل القبيح : هل يعلم أحد خارج القصر بوجودنا هنا ، أو عن هذه الحجرة ؟؟..

عالية : أبداً . . لا أحد يعلم ! إننا عثرنا عليها اليوم فقط !

الرجل القبيح : لكما عدّة أيام وأنتما تجوسان خلال هذا

القصر ، وتعبثان فيه ! هل معكما أحد ؟..

عارف : أبداً . . ويمكنك أن تتحقق من ذلك . نرجوك أن تدعنا نذهب ، ونعدك بأننا لن نرجع هنا ثانية !

الرجل القبيح : لا . . لا . . يجب أن تبقيا هنا حتى تنتهى مهمتنا ! !.. وعندئذ ربما نطلق سراحكما !.. أنا أقول . . ربما ! . . وهذا يتوقف على سلوككما وتصرّفكما ! . .

وكان « سمارة » يستمع من مخبئه وراء الستار إلى هذا التهديد والوعيد ، وهو يكاد ينفجر من الغيظ . ولكن ماذا فى وسعه أن يصنعه !

الرجل القبيح : والآن انصرفا من هذه الحجرة ، فلدينا بعض العمل الهام . ولكن لا تذهبا بعيداً ، فسننادى عليكما فى أية لحظة .

تسلّقا الدرج الحجرى وهما لا يصدّقان . وقفل الرجال باب الحجرة عليهم .

أخيراً أتى الفرج ! إنهما سيلتقيان الآن « بعامر » ، حيث يغادرون القصر معاً ، ويعودون بالنجدة لإنقاذ « سمارة » .

مسكين « سمارة » ! لا بد أنه سيغمى عليه من الخوف ! ولكنهم سيعودون إليه قريباً ! !..

وما كاد « عامر » يشاهدهما حتى أخذ « عالية » بالأحضان وهو يهدّئ من روعها ، وقال : سنغادر القصر حالاً . ولكن أين « سمارة » ؟

فقصّ عليه « عارف » ما حدث ، وقال : سنعود بالنجدة لإنقاذه . والآن سنعبر الكوبرى فوراً فى طريقنا إلى الخارج ! !..

عَدَوْا إلى السّور حيث تركوا الحبل والكوبرى المعلّق ، وكانت « عالية » تقول : الحمد لله على نجاتنا من هذا الكابوس !

ولكن كان الكابوس المزعج ينتظرهم عند السّور . فقد اختفى الحبل . . وأزيل جذع النخلة ! لقد اكتشفه الرجال وقطعوا عليهم خط الرجعة !

عالية : الآن فقط فهمت لماذا سمحوا لنا بمغادرة الحجرة ! يا للملاعين ! إنهم يعلمون أننا سجناء فى القصر !

عارف : إن الأمر أصبح خطيراً . . فنحن سجناء . . و« سمارة » المسكين وراء الستار . . قد يكتشفونه فى أية لحظة . . أرجو ألاّ يفاجئه السّعال أو العطس !

عامر : يبدو أن هؤلاء الرجال ينتمون إلى عصابة خطيرة ! والواجب علينا أن نضع حدًّا لأعمالهم الإجرامية الغامضة .

ولكننا لسنا الآن فى وضع يسمح لنا بذلك ! والمهم أنهم لا يعلمون بوجودى فى القصر ، ولا بوجود « سمارة » وراء الستار !

عالية : يجب ألاّ تظهر يا « عامر » . أين ستختبئ ؟

عامر : هناك فوق الصخرة وسط الأشواك . ويمكنك أنتِ و « عارف » أن تجلسا قريباً منى ، وتهمسا لى بما يدور حولنـا !

صعد « عامر » إلى مخبئه ، وجلس « عارف » و « عالية » بعيداً عنه على الصخرة . وكانا يكشفان القصر والفناء من موقعهما .

عالية : من حسن الحظ أن أمى ذهبت إلى الفيوم ، وإلاّ لانتابها القلق على غيابنا !

عارف : اسكتى يا « عالية » ! ها هو ذا الرجل ذو اللحية قادم نحونا . .

أشار لهما الرجل بالنزول من فوق الصخرة ، وقال باستهزاء وشماتة : هل عثرتما على الكوبرى ؟ إنها فكرة جميلة ولكنها لا تعجبنا كثيراً ! والآن تعلمان جيداً أنكما لن تستطيعا الفرار ! ستبقيان فى هذا الفناء أثناء النهار ، وعليكما أن تناما فى الحجرة أثناء الليل . وإيّاكما أن تصعدا إلى السطح ، أو ترسلا أية

إشارة لأحد . وإذا خالفتما هذه الأوامر فسوف أضعكما فى جبّ مملوء بالجرذان والخنافس والوطاويط !!..

ثم ألقى عليهما الرجل بتعليماته الأخيرة قبل أن يغادرهما : لا تغادرا هذا الفناء . واحضرا بسرعة عندما ننادى عليكما . ولديكما من الطعام ما فيه الكفاية لفترة طويلة . والماء فى المطبخ !

عالية : يا ترى كيف حال « سمارة » ؟ وهل سيموت جوعاً هناك ؟

عارف : لا . . لن يموت جوعاً . . فعنده الكفاية من الطعام على المائدة . . هذا إذا أتيحت له الفرصة للخروج من مخبئه وراء الستار ! . .

عالية : وكيف العمل الآن ! آه لو تمكنا من إيصال رسالة إلى « محبوبة » ! ربما أمكنها العمل على إنقاذنا . ولكن ليست هناك أية وسيلة أمامنا لذلك !

ظلاّ يتسكّعان فى الفناء طول اليوم ، ولكنهما لم يبتعدا كثيراً عن « عامر » ، حتى لا يشعر بالضجر والملل فى مخبئه الضيّق الشائك !

عارف : للأسف أننا لا نفهم ما يتخلّل أحاديث هؤلاء

الرجال من اصطلاحات غريبة !!.. وأننا إذا فهمناها قد نصل إلى بعض أسرارهم !

عالية : ربما يسمعهم « سمارة » من مخبئه وهم يفشون بعض الأسرار !

عارف : لو كنت مكان « سمارة » لأصابنى الخوف !

عالية : « سمارة » شجاع لا يهاب شيئاً . .

وعندئذ أتاهم صوت « عامر » من وسط الأشواك وهو يقول : ما لكم تتحدثون عن الخوف ! لا تنسيا أننا نخوض الآن مغامرة رهيبة !

عالية : ومع ذلك فنحن لم نبحث عن هذه المغامرة . إنما هو القدَر الذى أوقعنا فيها !

عامر : أرجو أن تنتهى هذه المغامرة على خير . فمن الواضح أننا لن نتمكن من الإفلات من هذا السجن الرهيب . كما أن أحداً لن يأتى لإنقاذنا !!..

وعندما أوشكت الشمس على المغيب ، تناول « عارف » و « عالية » قليلاً من الطعام ، بعد أن هرّبا بعضه إلى « عامر » فى مخبئه !

هبط « عامر » من فوق الصخرة . فهو الآن فى أمان بعد

حلول الظلام .

عامر : لقد تجمّدت أطرافى فى مكانى الضيّق ، وحان الوقت للتريض .

وبينما الثلاثة يتجوّلون فى الفناء ، إذا بهم يصطدمون « بمرجان » وهو يمرق بين أقدامهم ! لا شك أنه كان يبحث عن « عارف » !

عالية : عندى فكرة جهنّمية !!.. يمكننا أن نبعث برسالة إلى « محبوبة » مع « مرجان » ، نقول لها فيها إننا فى ورطة ، وفى حاجة إلى النجدة !

عارف : لا بأس بهذه الفكرة ! « فمرجان » هو الوحيد الذى يعرف طريق الخروج والدخول .

عامر : إنها تبدو فكرة جميلة ، ولا بأس من المحاولة .

ثم أخرج ورقة من مفكّرته وخطّ عليها : إلى « محبوبة » . . نحن سجناء فى القصر . . إننا فى خطر . . ابعثى لنا بالنجدة سريعاً . وبعد أن قرأها . وقّعوها بإمضاءاتهم . ثم أخرج منديله ومزّق منه شريطاً رفيعاً ربط فيه الرسالة ولفّه حول رقبة « مرجان » بإحكام .

وكان « مرجان » يقاوم مقاومة يائسة ، محاولاً التخلّص

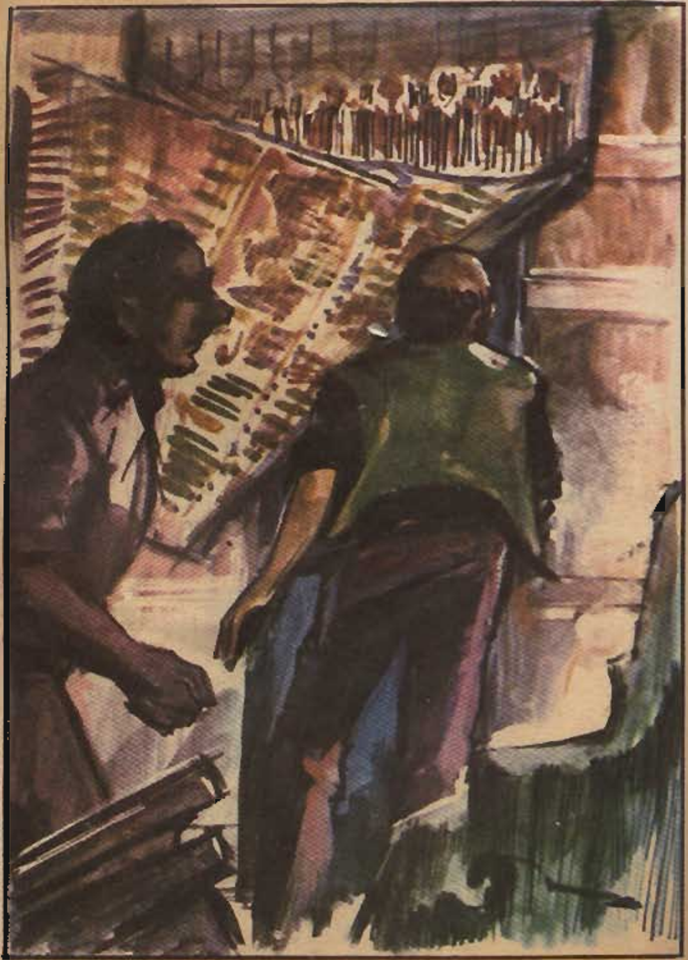

كان جزء من الحائط عبارة عن لوح خشبي مرسوم كالحائط تماماً .

من قيده . فالقط ، وهو من فصيلة الحيوانات البرية المتوحشة ، لا يحبّ القيد فى رقبته !

وبعد أن انتهى « عامر » من هذه العملية الدقيقة ، أخذ « عارف » القط بين يديه وهمس فى أذنه : اذهب إلى « محبوبة » .. فاهم ! . ولكن « مرجان » لم يفهم بطبيعة الحال ! فكان يعدو ويقفز فى أرجاء الفناء ، وهو يحاول التخلص من هذا القيد الغريب !

وفجأة دوى صوت الرجل القبيح وهو يصيح : هيّا أيها الأطفال ! فقال لهما « عامر » على عجل : أما أنا فلن أذهب إلى مخبئى المتعب .. بل سأبقى هنا فى الظلام .. لا تخافا وسوف تصلنا النجدة مع « محبوبة » ! ..

سارا أمام الرجل القبيح حتى هبطا إلى الحجرة السرّية . تُرى هل ما زال « سمارة » فى مخبئه ؟!.. مسكين « سمارة » لا بد أنه فطس خلف الستار !

الرجل القبيح : ناما على هذا السرير .. وسأراكما فى الصباح .

وعندما غادر الحجرة ، همست « عالية » : يا « سمارة » ! أخرج !

فخرج « سمارة » وهو يترنح كالثمل ، وقال : أدعو الله ألاّ أقضى ليلة أخرى كالليلة الماضية ! لا يمكن أن أمكث خلف الستار دقيقة واحدة أخرى !

عارف : وإذا افترضنا أن الرجال سيعودون إلى الحجرة ؟

سمارة : لا يهمّنى ! فأنا يائس ! كان الجهد علىّ شديداً وأنا أمنع نفسى من السّعال والعطس ، والوقوف بلا حراك أو نوم هذه المدة الطويلة !

عالية : مسكين أنت يا « سمارة » ! لقد تعذّبت كثيراً !

سمارة : هذا صحيح .. ولكن مغامرتى الصغيرة هذه جاءت فى وقتها المناسب !!.. فقد عرفت أشياء كثيرة !!..

عالية : أخبرنا بسرعة ماذا حدث هنا طول النهار ! أراهن أن لديك أخباراً مثيرة !

* * *

الباب المزيّف !

جلس «سمارة» يروى قصّته فقال : كنت أتميّز غضباً من اللهجة الجافة التى كان الرجال يتحدثون بها إليكما . وكان بودى أن أخرسهم ، ولكنى ملكت أعصابى ! ولما أغلقوا الطاقة وراءهم جلسوا على هذه المائدة

عالية : وهل فهمت شيئاً من حديثهم ؟

سمارة : لا . . للأسف ! فقد أخرجوا خرائط كثيرة من هذه الخزانة ، وانكبّوا عليها يفحصونها بدقّة ، ويتكلمون باصطلاحات لم أفقه منها شيئاً ! ثم حدث شىء غريب !!...

عارف : ماذا حدث ؟

سمارة : أتريان هذه السجادة المرسوم عليها النخيل والأشجار والبطّ والمعيز والحمير ؟ إن خلفها باباً سريًّا !! نهض واحد منهم وذهب إلى السجادة ورفعها ، ثم علّق طرفها على

هذا المسمار فى الحائط !

عالية : وماذا رأيت وراء السجادة ؟؟..

سمارة : لا شىء ! مجرّد حائط !

عالية : إذن أين يقع هذا الباب السرّى ؟

سمارة : كان جزء من الحائط عبارة عن لوح من الخشب مرسوم كالحائط تماماً ! فدفعه الرجل إلى الوراء فانفتح ، ودخل منه إلى التجويف ، ثم فتح باباً حديديًّا ، وتبعه الرجلان واختفى الجميع !

عالية : يا للغرابة ! وأين ذهبوا ؟ هناك سرّ غامض فى هذا القصر !

عارف : ولماذا يأتى مثل هؤلاء الرجال إلى مثل هذا القصر المهجور المنعزل ؟ ويعقدون اجتماعات مريبة ، ويستعملون غرفاً وأبواباً سرّية ؟ !

عالية : هيّا بنا نفتح هذا الباب لنرى ما بداخله !

سمارة : لا يا «عالية» ! يكفينا ما أصابنا حتى الآن ! وإذا عاد الرجال ووجدوا أننا اكتشفنا سرّهم ، فإن الله وحده الذى يعلم ماذا سيكون عليه مصيرنا . . سوف نختفى إلى الأبد !

سكتت «عالية» بالرغم من تحرّقها الشديد لمعرفة السرّ

الذى يكمن وراء الحائط المزيّف . ثم قصّت على « سمارة » حكاية الرسالة التى حملها « مرجان » إلى « محبوبة » .

سمارة : بالرغم من أنها فكرة جميلة ، إلاّ أنه لا طائل تحتها ! هل نسيتم أن « محبوبة » لا تقرأ ولا تكتب !!..

عالية : ولكن ذكاء « محبوبة » الفطرى سيلهمها أن تستعين بمن يقرؤها لها !

وأخيراً حلّ عليهم التعب ، وشعروا بالحاجة الماسة إلى النوم . فقرّر « سمارة » أن ينام تحت السرير العالى ، فهو ليس أقل راحة من الستارة !

وما كاد النوم يداعب جفونهم ، حتى استيقظوا على صوت احتكاك وصرير الطاقة . ونزل الرجال إلى الحجرة . وكان « سمارة » لا يرى من مكانه تحت السرير سوى أقدامهم . ولكن ما هذا !!.. إنها أكثر من ست أقدام !!.. عدّها فوجدها عشراً !!.. إنهم الآن خمسة رجال . . لا ثلاثة !!..

تقدم الرجل القبيح ذو الأنف الكبير وكشف عن الناموسية فإذا بهما يغطّان فى النوم . فاطمأن أنهما نيام ! . ولكنه ما كاد يرخى الناموسية حتى فتحا عيونهما !

رفعت « عالية » طرف الناموسية فى حرص ، فإذا بها

تكتشف أنهم خمسة رجال ! كانوا يلتفون حول المائدة ، وهم يدرسون بعض الخرائط ، ويتحدثون بكلمات واصطلاحات أغلبها غريب على سمعهم ! وبعد أن انتهوا من دراستها ، وضعوها كما كانت فى الخزانة الحديدية .

ولسعادة « عالية » الفائقة – وكانت لا تزال تطلّ من طرف الناموسية – رأت الرجل القبيح وهو يتجه إلى السجادة ، ويرفع طرفها ويعلّقه على المسمار فى الحائط ، ثم يدفع الحائط ويدخل إلى التجويف الذى ظهر وراءه ، ويفتح الباب الحديدى بمفتاح كبير . ثم دخل الرجلان الجديدان المجهولان إلى حيث لا أحد يعلم ! أما الرجال الثلاثة فقد غادروا الحجرة السرية وقفلوا الطاقة وراءهم !

نادت « عالية » على « سمارة » ، فأطلّ برأسه من تحت السرير ، وقالت له : هل رأيت ما حدث ؟

سمارة : نعم . . كانوا خمسة رجال ! والحمد لله أننا لم نطاوعك فى الدخول من هذا الباب هذه الليلة !

عارف : أعتقد أن هناك غرفاً سرّية فى الداخل ، أو سرداباً يؤدى إلى الخارج . . .

عالية : إننا لن نتوصّل إلى سرّ هذه العصابة ، إلاّ إذا

عرفنا ماذا وراء هذا الباب السرى !

وبعد ذلك استغرقوا فى نوم عميق حتى الصباح . ولكنهم استيقظوا على صوت الرجل القبيح وهو يصيح عليهم : هيّا هيّا إلى الخارج .. ولا تذهبا بعيداً .. وإلاّ فجبّ الجرذان والخنافس والوطاويط فى انتظاركما !..

* * *

أما « عامر » فكان ينزوى فى ركن من الفناء ، بعد أن غادره « عارف » و « عالية » . وكان لا يؤنس وحدته غير « مرجان » ، الذى كان يرفض التحرك بدون « عارف » ! وكان القلق يساوره على بقيّة المغامرين ، وهو يحاول أن يجد مخرجاً من المأزق الذى وقعوا فيه . فأخذ يحدّث « مرجان » ويقول له : لماذا لا تذهب إلى « محبوبة » بهذه الرسالة أيها العنيد ! صدقنى يا « مرجان » إذا ذهبت إلى « محبوبة » فسوف ينصلح الحال وتنقذنا جميعاً.

ولكن كيف « لمرجان » أن يفهم ما يقال له ! كان هذا من المحال ! فظلّ يلازمه حتى منتصف الليل تقريباً .. إنه لم ييأس بعد من العثور على سيده !

وفجأة شاهد « عامر » الرجال الثلاثة وهم يقفون فى الفناء

فى ضوء القمر . ثم توجّهوا إلى السّور حيث البوابة الخارجية الضخمة ... وفتحوها !

إنها طريق النجاة والخلاص ! إنها البوابة التى تطلّ على العالم الخارجىّ ! .. لو كان يعلم أنهم سيفتحونها ، لوقف بجوارها ، واندفع منها إلى الخارج فى سرعة البرق الخاطف ! .. وليلحقوا به إذا ساعدتهم سيقانهم على ذلك ! أليس هو صاحب الرقم القياسى للمائة متر عدواً فى مدرسته وناديه ! ..

وقف فى مكانه بلا حراك . فقد رأى شبح رجلين يدخلان ، ثم تُقفل البوابة وراءهما ، ويتوجه الرجال الخمسة إلى داخل القصر ! إنه يتصورّ أنهم سيدخلون الحجرة السّرية ! ..

كم ستذعر أخته « عالية » عندرؤيتها هؤلاء الأشرار ! إن منظرهم فظّ شرس !

لا سبيل له الآن إلى الفرار إلاّ من خلال هذه البوابة .. إنه لو تمكن من فتحها ، لأتى لهم بالنجدة بعد ساعة واحدة ! ذهب إلى البوابة وحاول فتحها ، ولكن كان ذلك من المستحيلات فوقف فى ظلّ شجرة بالقرب منها ، ينتظر خروج الرجلين . وعندما تفتح البوابة يمرق منها كالسهم !

ولكنه انتظر طويلاً ساعة وراء أخرى ، حتى كاد يغلبه

النعاس . إذ كيف له أن يعرف أن الرجلين المجهولين رحلا عن طريق باب سرّى داخل الحجرة السفلية !

وأخيراً رأى أن لا جدوى من البقاء فى مكانه ، بعد أن كاد الفجر يلوح . وبحث عن « مرجان » ولكنه كان قد اختفى . فعاد إلى مخبئه فوق الصخرة ، وهو يأمل فى أن يكون « مرجان » قد ذهب بالرسالة إلى « محبوبة » ! إنه أمل ضعيف على كل حال ! لقد آن الأوان أن تصلهم النجدة ، « فعالية » و « عارف » فى خطر كبير . أما « سمارة » فكان الله فى عونه ! وهو نفسه قد ضاق ذرعاً بمخبئه الشوكىّ الضيّق . وحتى الحدأة هجرت عشّها !

* * *

وفى الثامنة صباحاً ظهرت « عالية » فى الفناء يتبعها « عارف » . وصعدا إليه فوق الصخرة .

عارف : يمكنك أن تظهر يا « عامر » ! فالرجال الثلاثة فى الحجرة السرية !

قصّ عليه « عارف » حكاية اكتشافهم للباب السرّى ! فأبدى « عامر » دهشته واهتمامه البالغ بهذا الخبر ، وقال : إلى أين يقود هذا الباب ؟

عارف : الله أعلم ! . . .

صمت « عامر » قليلاً ، وقال : أظن أن هذا الباب يؤدى إلى خارج القصر ، خلال سرداب ، ليؤمّن طريق فرارهم السريع إذا ما داهمتهم قوّات الأمن . وكم أود أن أكتشف ذلك بنفسى ! ولكنى أعتقد أن « سمارة » سوف يفعل ذلك إن عاجلاً أو آجلاً !

عالية : أرجو أن يكون « سمارة » أعقل من ذلك ، وأن يلزم مكانه تحت السرير ! ولكن هل ياترى ذهب « مرجان » بالرسالة إلى « محبوبة » ؟

عامر : لقد اختفى أخيراً وربما ذهب إليها . .

مرّ النهار عليهم بطيئاً مملاً . وحلّ الليل ، ومعه أتى صوت الرجل القبيح ينادى عليهما . فودّعهما « عامر » على عجل وهما يهرعان إلى القصر .

سار « عامر » فى ظلّ السور ليحرّك عضلاته اليابسة . ولكنه توقف فجأة ! فقد سمع حفيفاً يصدر من وسط الأعشاب العالية التى تنمو بجوار السور ! ثم أخذ الصوت يعلو . . وتحرّكت الأعشاب ! فتملكه الخوف واقشعرّ بدنه . أهوى ابن آوى أو ذئب مفترس ! إن الأرنب الوديع لا يصدر عنه

مثل هذا الصوت العالى والحركة العنيفة ! فلم يتمالك إلاّ أن يخرج بطاريته ويصوّبها نحو الأعشاب . فإذا به أمام وجه « محبوبة » . . وبجوارها « مرجان » ! ! فى حين كانت « زاهية » تقف على السور العالى !

قفز من المفاجأة وهمس : « محبوبة » ! ماذا تفعلين ، ومن أتى بك هنا !

لم تجب « محبوبة » فى أول الأمر ، وكان التراب يغمرها من أعلى شعرها الملبّد ، حتى أخمص قدميها الحافيتين ! ثم جلست القرفصاء وهى تتنفس بصعوبة ، إلى أن هدأت وقالت : إنى جوعانة !

أعطاها « عامر » قليلاً من البسكويت وبرتقالة ، أتت عليهما بنهم وشراهة .

عامر : تكلمى بصوت منخفض ، فنحن محاطون بالأعداء ! هل وصلتك الرسالة ؟

محبوبة : نعم . . وأعطيتها لأمى حتى يقرأها لنا أحد ! وجئت إلى هنا بسرعة . . فلم أجد الكوبرى فى مكانه . . فأدركت أنكم فى خطر . فعدت لآتى « بمرجان » فهو الوحيد الذى يعرف طريق الدخول !

عامر : يالك من فتاة ذكية يا « محبوبة » !

محبوبة : أتيت بحبل رفيع وربطت به « مرجان » من رقبته بصعوبة بعد أن عضّنى . وقادنى حتى وصل إلى السّور . . ثم دخل من نفق قصير ضيّق يختفى داخل الحشائش الطويلة . . ! وها نحن أولاء أمامك الآن! . . .

أصابها الهلع عندما روى لها « عامر » ما يحدث فى القصر : « عالية » و « عارف » مسجونان فى غرفة مسحورة تحت الأرض ! « سمارة » تحت السرير ! خمسة رجال أشرار ، وكانت تظنه شريراً واحداً فقط ! سراديب وأبواب سرّية !

عامر : سأخرج أنا من النفق ، وستبقين أنت فى مخبئى حتى أعود بالنجدة ! وستأتى لك « عالية » و « عارف » فى الصباح . أما « سمارة » فسيظلّ تحت السرير حتى ننقذه ! ! . .

وبالرغم من خوفها الشديد ، إلاّ أنها رضيت قانعة باقتراحه . فبقاؤها وحيدة فى هذه الدار الملعونة ، لهو أخفّ وطأة من اختيارها هذا النفق الضيّق المرعب !

* * *

الصقر !

العقيد « ممدوح »

زحف « عامر » ببطء فى النفق القصير الضيّق ، وما كاد يجتازه حتى كادت روحه أن تزهق ! ثم أخذ يعدو وهو لا يشعر بالتّعب ، حتى وصل إلى الفيلاّ . ولكنه ما كاد يدخل الحديقة حتى رأى نوراً ينبعث من نافذة ! فتوقّف وقد أصابته الدهشة ! من دخل المنزل ؟ ومن أضاء النور ؟ هل رجعت والدته من الفيوم فجأة ؟ أو أن والده وصل من القاهرة فى زيارة مفاجئة ؟ وماذا سوف يقول لهما الآن ؟ أيقول لهما إن « عارف » و « عالية » مسجونان فى قبو تحت الأرض ؟ وأن « سمارة » يرقد منذ أيام تحت السرير ؟ وأن « محبوبة » تختبئ داخل الأشواك ؟ وأنهم وقعوا جميعاً بين أيدى عصابة خطيرة !!

تحسّس طريقه إلى النافذة المفتوحة ، وأطلّ منها بحذر ،

وإذا به يفاجأ بخاله « ممدوح » وهو يجلس وحيداً ! لم يصدّق عينيه فى أول الأمر . . ولكن ها هو ذا بلحمه ودمه ! . . لقد وصل فى الوقت المناسب . . أرسلته العناية الإلهيّة لإنقاذهم ! وبقفزة واحدة كان يقف أمام خاله داخل الحجرة !

أخذ « ممدوح » على غرّة ، فلم يتحرّك من مقعده . وعندما ذهبت عنه المباغتة ، هبّ واقفاً وهو يقول له : أين أنتم ؟ وأين إخوتك ؟ . . وأين والدتك ؟

روى له « عامر » الأحداث بحذافيرها ، وقال : والآن سأترك لك تقدير الموقف ، وحرّية التصرّف . ولكن لا يجب أن نضيّع دقيقة واحدة !

ممدوح : هذه قصة غريبة يا « عامر » ! ولكن المسألة أخطر مما تتصوّرون . . ومما تعرفون أنتم عنها ! !.. أيمكنك أن تصف هؤلاء الرجال ؟

عامر : لا يمكننى أن أصفهم لك بالدّقة . فقد كنت أراهم إما فى الظلام ، وإما من مخبئى البعيد ؛

وبعد صمت قصير ، برقت عينا « عامر » وصاح فجأة : لقد نسيت ! إنى التقطت صورة لاثنين منهم عن قرب ! وكان أحدهما فى مواجهة العدسة !

ممدوح : وأين هذه الصورة ؟

عامر : هى ضمن هذه الأفلام . وهناك الغرفة السوداء فى الحجرة المجاورة ، فحمّضها إذا شئت !

ممدوح : حسناً جداً . . أما الآن فأنت فى حاجة إلى النوم .

عامر : كنت أظن أننا سنذهب الآن إلى القصر !

ممدوح : لا تتعجّل الأمور . . فالمسألة ليست على هذا القدر من البساطة ، بل هى على جانب كبير من الخطورة . أريد أولاً أن أتأكد من صاحب هذه الصورة ؟!.. ثم أذهب إلى الفيوم لإحضار القوّة الكافية لاقتحام القصر !!..

عامر : وهل لهذه العصابة صلة بالمهمة التى كلّفت بها فى الفيوم ؟

ممدوح : لا يمكننى أن أبوح لك بشىء الآن ! . .

وما كاد « عامر » يرقد فى سريره حتى راح فى سبات عميق . استيقظ منه بعد مدة على صوت « ممدوح » وهو يقول له : يؤسفنى أن أوقظك ! أنظر إلى الصورة التى التقطتها للرجل الأصلع الملتحى ! كم هى واضحة !

ثم أخرج من جيبه صورة فوتوغرافية ، ووضعها بجانب

الصورة التى التقطها « عامر » !

ممدوح : ماذا ترى يا « عامر » ؟

عامر : إنه نفس الشخص ! من هو؟ هل تعرفه ؟

ممدوح : لا نعرف اسمه الحقيقى ! ولكنه معروف للمخابرات باسم الشهرة وهو « الصقر » ! إنه جاسوس خطير !!.. وكنت أتتبّع خطواته ، ولكن التعليمات كانت تقضى بعدم القبض عليه . فالمخابرات يهمّها أن تصل إلى شركائه ، والأهم من ذلك إلى الرأس الكبير ! ولكنه كان كالثعبان يفلت من بين أصابعى . وعندما وصلت وراءه إلى الفيوم اختفى أثره تماماً !

عامر : إنه فى القصر الآن ! يا له من مكان يصلح للاختفاء !

ممدوح : ياللحظ الحسن أننى صادفتكم فى الفيوم ! وإلاّ لما كنا عثرنا على « الصقر » إلى الأبد ! سأذهب الآن إلى الفيوم ، ولن أغيب !

* * *

كانت « محبوبة » تقبع فى مخبئها بين الأشواك ، إلى أن

غلبها النعاس . فى حين كان « عارف » و « عالية » يرقدان فى الحجرة السرية . و « سمارة » يختبئ تحت السرير . قضوا ليلة هادئة فلم يزعجهم الرجال بزياراتهم واجتماعاتهم !

وفى الصباح وصل الرجال كالعادة ، وأطلقوا سراح « عارف » و « عالية » ، فى حين ظلّ « سمارة » المسكين تحت السرير وهو صاغر !

تسلّق « عارف » و « عالية » الصخرة . ونادت « عالية » بصوت خافت : « عامر » ! يا « عامر » ! . . أأنت هنا ؟ . فانفرجت الشجيرة قليلاً ، وإذا « بمحبوبة » تطلّ عليهما ، وكان وجهها مغبرًّا ، وشعرها ملبداً ، وهى ترتدى جلبابها القديم الذى اختلط به الوحل حتى اختفت معالم ألوانه ؟

عالية : « محبوبة » !!.. ما الذى أتى بك هنا ؟ وأين « عامر » ؟ !

محبوبة : أتيت لمساعدتكم . وقد دلّنى « مرجان » على طريق الدخول من نفق تحت السور ! و « عامر » خرج عن طريق نفق « مرجان » !

اطمأن قلبهما أخيراً . فما دام « عامر » عرف طريق النجاة ، فهو لا بد سيصل إليهم قريباً ومعه النجدة .

عالية : إنى أخاف من هؤلاء الرجال الأشرار ! هيّا بنا نهرب !

محبوبة : ولكن كيف نترك « سمارة » وحده ؟

عارف : يجب أن نبقى بجانب « سمارة » حتى تصلنا النجدة .

* * *

استيقظ « عامر » فى الصباح على صوت سيارة « ممدوح » وهى تقف أمام باب الحديقة . ولما أطلّ من النافذة رأى خاله وبصحبته أربعة من الرجال الأشداء . دخلوا الحديقة وهم يتبعون خاله فى صمت ، وكان يصدر لهم بعض الأوامر فى سرعة واقتضاب . فقابله « عامر » بالترحاب وبادره قائلاً : سنذهب إلى القصرَ الآن . . أليس كذلك ؟

ممدوح : لن نذهب قبل منتصف الليل ! فنحن نعتقد أن العصابة تراقب الطريق أثناء النهار ! ويجب أن ندخل القصر دون أن يشعر بنا أحد !

وهكذا ظلّ الرجال الأربعة طوال اليوم وهم يسترخون فى الحديقة ، كالجنود وهم يتهيّأون للمعركة ! أما « ممدوح » فكان يسأل « عامر » عن بعض التفصيلات عن القصر ،

وعن رجال العصابة ، وعن الحجرة السرية .

عامر : من الواضح أن هؤلاء الرجال خطرون يائسون مدجّجون بالسلاح !

ممدوح : لا تخش شيئاً ، فقد اتخذنا أهبتنا لكلّ شىء ! فأنا أعرف « الصقر » منذ زمن طويل . وهو لن يترك شيئاً للمصادفات ! ولا بد أن وجودكم بالقصر ضايقه كثيراً ، وجعله يعجّل بخططه !

عامر : يبدو لى أن هذه المغامرة فى طريقها إلى التصاعد ، وستبلغ ذروتها قريباً !

انتهز « عامر » فرصة الانتظار ، وبدأ فى تحميض باقى أفلامه . وكم كانت سعادته عندما رأى النتيجة الباهرة . كانت الحدأة الصغيرة هى بحقّ نجمة المجموعة !

وعندما شاهد « ممدوح » هذه الصورة قال له : إن هذه المجموعة جديرة بأن تنشر فى أكبر المجلات العلمية .. إنى أهنئك عليها يا « عامر » .

نام الجميع ليأخذوا قسطهم من الراحة ، استعداداً لعمل الليل الشاق الطويل الخطر . وعند منتصف الليل أيقظهم « ممدوح » ، وقال : ستحملنا السيارة إلى أطراف المزارع ،

وهناك سنتركها فى الطريق . وسوف تقودنا أنت يا « عامر » إلى القصر بعد ذلك سيراً على الأقدام !

وبينما هم فى السيارة ، قال « ممدوح » لـ « عامر » : إن أشدّ ما يقلقنى هو وجود الأطفال داخل الحجرة السرية !

عامر : لا تنس يا خالى أن هؤلاء الأطفال هم الذين قادوكم إلى هذه المغامرة !

ممدوح : أنا أعترف بذلك .. ولكن وجودهم هناك قد يعرقل خططنا ! إن الخطة سوف تعتمد على الظروف . ففى نيتنا أن نهبط إلى الحجرة السرية أثناء الليل ، عندما يكون « عارف » و « عالية » داخلها .. فى حين يكون الرجال الثلاثة غائبين خارجها !

عامر : ثم تطلقون سراحهم !

ممدوح : تماماً ! ولكننا سوف نحتاج إلى « سمارة » ليدلّنا على طريق الباب المزيّف وكيفية فتحه ! كما أريد أن أعرف كل شىء عن عمل هؤلاء الرجال .. دون أن يشعروا بوجودنا !!..

عامر : وكيف يتسنّى لك ذلك ؟ ! ..

ممدوح : سنختفى خلف الستائر فى غيابهم ! وستختفى

أنت بدورك تحت السرير مع « سمارة » ! ! . .

وعندما وصلوا أمام أسوار القصر العالية ، وبوّابته الخشبية المتينة ، قال « عامر » : هـا هو ذا القصر . . فكيف ستدخلونه ؟ ! .

لم يجبه « ممدوح » ، ولكنه تقدّم مع مساعديه نحو البوابة الضخمة ، ثم أصدر أمره إلى أحد رجاله . فأخرج من جيبه إسطوانة صغيرة الحجم ، وصوّب فوهتها حول القفل الحديدى المتين ، فانبعث منها لهب قوى أزرق ، أخذ يخترق الخشب فى سهولة ، وكأنه سكين يقطع فى قالب من الزّبد ! إلى أن انفصل القفل تماماً عن الباب ! ثم دفع البوابة برفق فانفتحت على مصراعيها !

* * *

. . . وعاد الهدوء إلى القصر

تقدم « عامر » الطابور ليدلّهم على الطريق ، وكانوا يسيرون فى ظلّ السّور لئلا يكشفهم ضوء القمر الساطع .

استأذن « عامر » ليذهب إلى « محبوبة » ليستقى منها آخر الأنباء .

مرجان

محبوبة : ها أنت ذا قد وصلت يا « عامر » ! . .

عامر : نعم ! ومعى قوّة على رأسها خالى العقيد « ممدوح » . وسنذهب لإنقاذهم من الحجرة السّرية . . وماذا حدث ؟ هل من جديد ؟

محبوبة : رأيت أحد الرجال يقف على السطح بجانب برج الحمام ، وكان يمسك بيده طيراً أطلقه . . أظنّه حمامة ! ! .

ثم رأيت حمامة أخرى تدخل البرج ، فالتقطها الرجل وهبط بها إلى القصر !

عامر : إنهم يتناقلون الرسائل بالحمام الزاجل !

توجّه « عامر » إلى خاله « ممدوح » وكشف له عن هذا السرّ الجديد !

أخذ « ممدوح » يصدر تعليماته الأخيرة ، فقال : أنت يا « عامر » سوف توضح عملية فتح الطاقة لأحد رجالى الذى سيرابط بجوارها . وبمجرد فتح الطاقة ، سأصيح على رجال العصابة أن يصعدوا فوراً ، ونحن نهدّدهم بإطلاق الرصاص إذا خالفوا الأوامر !

عامر : ولكن ماذا عن إخوتى ؟ ربما أصابهم مكروه !

ممدوح : دع هذا الأمر لى . . ولا تخش شيئاً !

دخلوا الردهة بحذر شديد ، وتوجّه « عامر » مع أحد الجنود إلى الحائط ، حيث أوضح له طريقة فتح الطاقة . وكان « ممدوح » ورجاله يلتفّون حولها ومسدساتهم مصوبة إلى داخل الحجرة !

انفتحت الطاقة فى بطء ، وكان الضوء ينبعث من « اللمبة » الجاز خافتاً من الحجرة . . والسكون التام يخيّم فى أركانها .

عامر : يبدو أن رجال العصابة فى الخارج !

ولكن « ممدوح » لا يترك شيئاً للمصادفة . فصاح بصوته الجهورى من خلال الطاقة : من هناك ! . . أجب ! .

فجاءه صوت « عالية » وهو يرتجف : لا أحد . . نحن فقط . . من أنت ؟

عامر : « عالية » ! أنا « عامر » يا « عالية » . . ومعى خالنا « ممدوح » !

قال هذا وهبط إلى الحجرة ، يتبعه « ممدوح » وأعوانه . وكانت « عالية » تبكى من الفرح ، و « ممدوح » يهدئ من روعها .

ممدوح : لا وقت للبكاء يا « عالية » ، ولا وقت نضيّعه ! أين « سمارة » ؟

عالية : عندما دخلنا الحجرة فى المساء كان قد اختفى ! . ربما قبض عليه رجال العصابة . . أو هرب . . لا نعلم ! ولم يترك لنا وراءه أثراً أوكلمة ! ولكننا نظن أنه ذهب ليستكشف ما وراء الباب السرى !

عارف : سمعت الرجل القبيح ، وهو الذى يصدر لهم الأوامر ، يقول إنهم سيعقدون آخر اجتماعاتهم هذه الليلة فى هذه الحجرة ، حيث يحتفظون بأوراقهم وخرائطهم ! . .

ممدوح : وأين يضعون هذه الخرائط ؟

فأشار له « عارف » على الخزانة الحديدية وقال : هنا !

فتجهّم وجه « ممدوح » وهو يجيبه : إن الأمور بدأت تتضح لى ! اسمع يا « عارف » ، أنت و « عالية » سترحلان الآن فوراً ، وستذهبان مع « محبوبة » إلى الفيلا ، وانتظرونا هناك

ابتدآ فى الاحتجاج ، إذ كيف لهما أن يتركا المغامرة الآن وقد أشرفت على نهايتها ! ولكن « ممدوح » أسكتهما بإشارة من يده ، وقال : هذا أمر ! هيّا إلى الخارج ! . .

كان لا بد لهما من إطاعة الأوامر ، فخرجا من الحجرة على مضض ، إلى حيث تنتظرهما « محبوبة » . ثم دلفوا من البوابة الضخمة للقصر إلى حيث الأمان والحريّة . . .

وكان « ممدوح » يصمّم على حضور الاجتماع الأخير الذى ستعقده العصابة فى الحجرة . فأشرف بنفسه على إخفاء رجاله خلف الستائر فى مواقع استراتيجية . واختار لنفسه موقعاً قريباً يشرف على المائدة ، لتسهل عليه رؤية الوثائق والخرائط ! !

أما « عامر » فقد اختار له مكاناً وراء السلّم ، حتى يكون بمأمن من الرصاص الطائش ، إذا ما وقعت معركة مع رجال العصابة كما هو متوقّع !

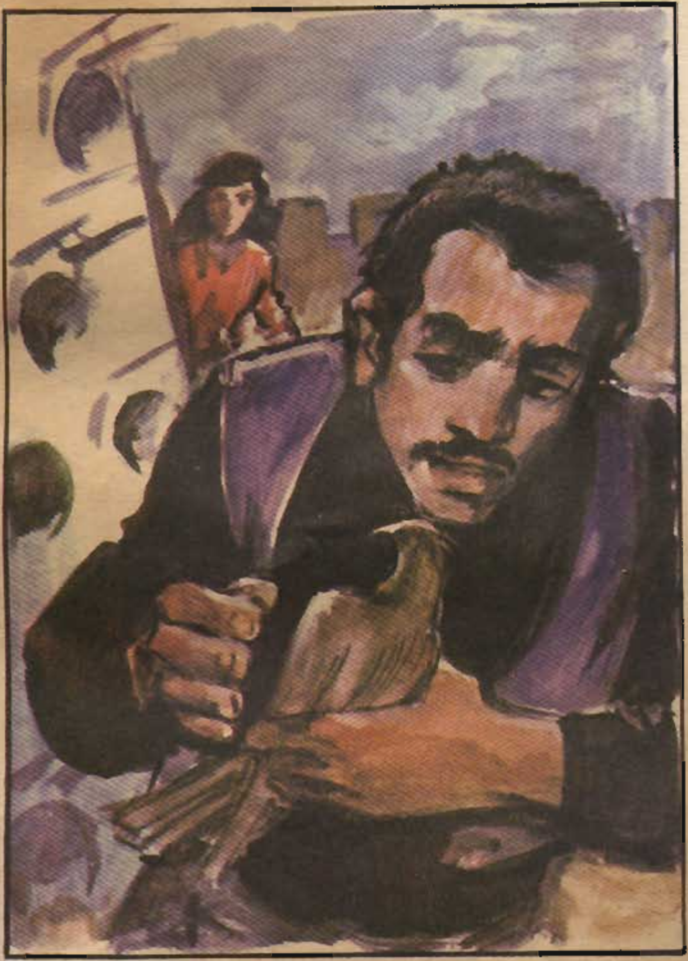

كان الرجل يقف على السطح ويمسك بيدة طيراً .. أظنه حمامه

وبعد أن انتهى « ممدوح » من ترتيب الكمين ، قال ؛ والآن سكون . . ولا كلمة . . إنى أسمع صوتاً ! !..

وعلى حين فجأة ، سُمع صوت صرير باب حديدى ، ثم انزاحت السجّادة المعلقة على الحائط !

كان « ممدوح » يطلّ من فرجة ضيقة فى الستارة ، وإذا به يرى الأشقياء وهم يتسللّون إلى الحجرة ، يتقدمهم رجل ضخم الأنف ، لا يعرفه « ممدوح » ولم يره من قبل ! ثم تبعه « الصقر » ، وكان يقود أمامه « سمارة » وهو مقيّد اليدين خلف ظهره ، ثم باقى الرجال .

وكان « سمارة » يتظاهر بالشجاعة ، عندما ألقى به « الصقر » فوق أحد المقاعد بعنف زائد . وكان من الواضح الآن أن العصابة قبضت على « سمارة » ! ثم بدأ « الصقر » فى استجوابه .

الصقر : منذ متى وأنتم فى القصر ؟ وماذا تعرفون عنا ؟

سمارة : كنّا هنا معاً فى الحجرة ، ولكنى كنت تحت السرير ! !.. جئنا لنلعب فى القصر وكنا نظنّه خالياً . . ولم نقصد الضرر بأحد !

وهنا أصدر « الصقر » أمره بإيقاظ « عارف » و « عالية » .

فذهب أحد أعوانه ورفع الناموسية ، وإذا به يفاجأ بالسرير خاليًا ! فنظر الرجل إلى « الصقر » بدهشة وصاح : لا أحد فى السرير ! . .

الصقر : هل أنت معتوه ! لا بد أن يكونا فى السرير ! أنت تعلم استحالة خروجهما من الحجرة ما دامت مغلقة ! انظر تحت السرير جيداً !

فنظر الرجل تحت السرير ، ومدّ يده يتحسّس فى الظلام ، وإذا به يصرخ صرخة عالية ، ويتراجع إلى الوراء فى ذعر !

كان القط الشقىّ « مرجان » قد تسلّل إلى الحجرة وراء « عامر » ، واختبأ تحت السرير . وما إن رأى اليد تمتدّ إليه حتى أنشب فيها مخالبه !

الصقر : ما هذا الذى يحدث فى هذه الحجرة ! ؟ وما الذى تفعله بنا شلّة الأطفال هذه ؟ : !

ثم التفت إلى « سمارة » وصاح فيه : أنت أخرجتهما من الحجرة !

سمارة : أبداً . . أنا كنت مختبئاً طول الوقت تحت السرير . . !

الصقر : إذن من أخرجهما ؟ ستقول لنا الحقيقة وإلاّ . .

ثم رفع قبضته القوية ، وهوى بها على وجه « سمارة » فألقاه طريحاً على الأرض !

ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد قفز « مرجان » بغتة فى وجه « الصقر » ، عندما رآه يضرب « سمارة » ! فبهت « الصقر » من المفاجأة . وأخرج مسدسه وحاول الدفاع به عن نفسه . ولكن الزعيم منعه من استعماله . ثم قال « لسمارة » : كيف دخل هذا القط إلى الحجرة ؟

سمارة : لا أعلم ! علمى علمكم ! المسألة غامضة بالنسبة لى أيضاً !

الزعيم : إذا كان هذا الولد صادقاً ، فيحسن بنا أن ننهى عملنا الليلة بسرعة ونرحل عن هذا المكان . فنحن لسنا وحدنا فى هذا القصر !

وكان « ممدوح » يستمع من مخبئه إلى مناقشات رجال العصابة ، والخرائط تنتشر أمامهم على المائدة . ولكنه لم يكن فى وضع يسمح له برؤية تفاصيلها الدقيقة . ولكنها كانت تشبه التصميمات الهندسية !

وكان الرجال يتحدثون باقتضاب ، وتتخلّل مناقشاتهم بعض الاصطلاحات والرموز التى كان يفهمها « ممدوح »

جيـداً . إنها اصطلاحات حربيّة سريّة ، بعض خـاص بالصواريخ ، وبعضها بشبكات الرادار ، وبعضها بالمدفعية والدبابات . . وهكذا . . . !

وأخيراً انتهى الاجتماع ، وطوى « الصقر » الخرائط ووضعها فى جيبه . ثم استدار إلى « سمارة » ، وفى يده عصا رفيعة من الخيزران .

الصقر : والآن انتهت مهمتنا ، ولن نرى وجهك بعد الآن ، أو وجه أصحابك الأعزاء ! ولكن ليس قبل أن نعطيك درساً يعلّمك عدم التجسّس على الآخرين

سمارة : إيّاك أن تمسّنى ! . . .

وكان « مرجان » يقف بجواره متحفّزاً على أهبة الاستعداد !

رفع « الصقر » عصاه ليهوى بها على رأس « سمارة » ، وإذا به يفاجأ مفاجأة العمر ! فقد رأى الستائر تنفرج فجأة عن خمسة من الرجال الأشداء ، وهم يشهرون مسدساتهم فى وجوههم ، وصوت يصرخ فيهم : ارفعوا الأيدى ! . . سلّموا أنفسكم . . لا جدوى من المقاومة . . وإلاّ أطلقنا عليكم الرصاص ! ! . . .

وأصدر « ممدوح » أوامره إلى رجاله بوضع القيود الحديدية

فى أيدى رجال العصابة . ثم تقدّم وأخرج الخرائط من جيب « الصقر » ، ووضعها على المائدة أمامه ، وأخذ يتصفحها بإمعان .

ممدوح : الحمد لله أن هذه الأوراق وقعت فى أيدينا قبل أن تتصرّف فيها العصابة . وها هو ذا توقيع الزعيم واضحاً ، وأسماء عملائه فى الخارج ! لقد وضعنا أيدينا على أخطر عصابة للتجسّس على أسرارنا العسكرية ! وشكراً « للصقر » فقد قادنا إلى الرأس الكبير ، والجاسوس العالمى الذى داخت المخابرات فى البحث عنه وعن شركائه ! ! . .

ثم خرج « عامر » من مخبئه وراء السلم ، وفكّ رباط « سمارة » .

ممدوح : كيف قبض عليك هؤلاء الجواسيس يا « سمارة »

سمارة : تملّكنى الضجر وأنا أرقد تحت السرير بلا عمل ، فانتهزت فرصة غياب العصابة ، وفتحت الباب السرّى ودخلت ! فوجدت ممرًّا قادنى إلى غرفة صغيرة ، تحتوى على عِدَد وآلات دقيقة جدًّا ! وكنت منهمكاً فى الفرجة وأنا مأخوذ بما آراه ، فلم أتنبّه إلى الرجل ذى اللحية وهو يدخل الغرفة . فضربنى ضرباً مبرحاً ، وقيّدنى بحبل ، ثم ألقانى فى ركن بالحجرة .

ثم أخذوا يعملون على هذه الآلات ، وكانت تصدر أصواتاً وأزيزاً وصفيراً !

اصطحب « ممدوح » معه « عامر » و« سمارة » إلى الممر السرى ، حيث شاهدوا الغرفة ومحتوياتها !

ممدوح : هذه محطة لاسلكية للإرسال والاستقبال . وكانت المخابرات الحربية على وشك تحديد مكانها . ولكنكم سبقتمونا إلى ذلك !!..

وبعد معاينة الغرفة ، تابع « ممدوح » سيره فى الممر الضيّق المظلم على ضوء بطاريته ، حتى وصل إلى نهايته . وهناك وجد شبّاكاً حديديًّا صغيراً بالكاد ينفذ منه رجل ، وينبعث منه الضوء . ففتحه ونفذ منه وإذا به فى الهواء الطلق ، وراء الجدار الخلفى للمنزل المطلّ على الصحراء ! ووجد أمامه طريقاً ضيقاً ممهداً وسط الرمال ، يدور حتى يصل إلى شاطئ بحيرة قارون . حيث رأى عن بعد قارباً صغيراً يختفى بين الأعشاب والبوص الذى ينمو فى البحيرة .

ممدوح : هذا هو طريقهم السرّى للهروب فى الوقت المناسب ، أو للوصول إلى القصر عن طريق البحيرة !!..

* * *

وصل المغامرون الثلاثة إلى بيتهم ومعهم خالهم « ممدوح » . وبعد أن انتهى « عامر » من رواية قصّتهم فى القصر الغامض . وكانت والدتهم تنصت إليه وهى لا تصدّق أذنها !

الوالدة : لقد احترت فيكم أيها الشياطين ! حتى فى قارون الهادئة المنعزلة ، تمارسون هوايتكم فى المغامرة ! ولكن الذنب ذنب « خالكم « ممدوح » ، فهو الذى يشجعكم على ذلك .

ممدوح : إنهم ليسوا فى حاجة إلى تشجيع من أحد ! إن حبّ المغامرة داء فى العائلة ! وعلى كل حال فهم أدّوا خدمة وطنيّة جليلة لا تقدّر بثمن !

وكانت « محبوبة » تستمع إلى هذا الحديث وهى تشعر بالفخر عند سماعها هذا الإطراء والمديح . فهى ولا شك قد ساهمت فى هذه المغامرة بنصيب كبير !

وعندما نظر إليها « ممدوح » بعطف وحنان وسألها : وأنت يا « محبوبة » ما الذى تطمعين فيه الآن ؟

فأجابته على الفور : ثلاثة أزواج من الأحذية !!...

فضحك الجميع . . .

* * *

عامر　　عاليه　　عارف　　مرجان

لغز بحيرة قارون

ذهب المغامرون الثلاثة : « عامر » و « عارف » و « عالية » ومعهم « سمارة » إلى شاطئ بحيرة قارون .

وهناك عثروا على قصر غامض مهجور . . فاقتحموه !

وحدثت مغامرة قل أن يجود الزمن بمثلها . . ترى ماذا حدث ؟ !

هذا ما ستقرأه فى هذا اللغز العجيب .

دار المعارف

ص
١٥